الغَزَلُ في شِعرِ الوأواءِ الدِّمشقِيّ

عبد الخالق عيسى ومحمد يامين*

تلخيص:

تُعَالِجُ هَذِهِ الدِّراسَةُ فَنَّ الغَزَلِ فِي النِّتَاجِ الشِّعرِيّ لِلشَّاعِرِ العَبَّاسِيّ الوأواءِ الدِّمَشقِيّ، وَقَدْ قَصَدَتْ إِلى تَحلِيلِ غَزَلِيَّاتِهِ وَبَيَانِ اتِّجَاهَاتِهَا وَمَضَامِينِهَا، حَيثُ خَلصَتْ إِلى أَنَّهُ كَانَ شَاعِراً غَزِلاً، فَأَكثَرُ دِيوانِهِ غَزَل، وَبَيَّنَتْ أَنَّهُ تَجَاذَبَهُ فِي غَزَلِيَّاتِهِ اتِّجَاهَان، هُمَا: الغَزَلُ المَعنَوِيُّ العَفِيف، وَفِيهِ يُصَوِّرُ مَشَاعِرَهُ المُلتَهِبَةَ وَعَوَاطِفَهُ الحَرَّاقَةَ وَمَا لِلحُبِّ وَالهيامِ مِن تَأثِيرٍ فِي نَفسِهِ، وَالغَزَلُ الحِسِّيُّ بِنَوعَيه: الحِسِّيّ الفَاحِشِ الذي يَشتَمِلُ عَلَى سَردٍ لِقِصَصٍ جِنسِيَّةٍ فَاضِحَةٍ وَمُغَامَرَاتٍ حِسِّيَّةٍ مُتَهَتِّكَةٍ مَعَ المَحبُوبَة، وَالغَزَلِ الحِسِّيّ غَيرِ الفَاحِشِ الذي يَصِفُ المَحبُوبَةَ وَصفاً مَادِّيّاً وَيُصَوِّرُ مَفَاتِنَ جَسَدِها مِن غَيرِ الوُصُولِ إِلى مَرحَلَةِ التَّهَتُّكِ وَالخَلاعَةِ وَالإسفَافِ التي تَخدِشُ الحَياءَ العَامّ.

يُعَدُّ الغَزَلُ أَحَدَ الأَغراضِ الشِّعرِيَّةِ الأَساسِيَّةِ الأَصيلةِ فِي الأَدَبِ العَرَبِيّ فِي مُختَلَفِ العُصورِ والأَزمان، وَهُوَ مِن أَقدَمِهَا وأكثرها شيوعاً لاتصاله الوثيق بالطبيعة الإنسانية، وَهُوَ "قريب من النفوس، لائطٌ بالقلوب، لما جعل الله في تركيب العبادِ من محبَّة الغزل، وَإلفِ النساء، فليس يكادُ حدٌّ يخلو من أن يكون متعلقاً منه بسبب، وضارباً فيه بسهم، حلال أو حرام"[1]، وَلِهذَا فَقَد تَعَدَّدَ شُعَراؤُهُ وَكَثُرُوا كَثرَةً مُفرِطةً، حَيْثُ يُمكِنُنَا القولُ إِنَّ مُعظَمَ الشُّعَراءِ العَرَب طَرَقُوا هذا الغَرَضَ الفَنِّيَّ وَنَظمُوا فيهِ الكَثيرَ مِنَ الأَشعَار.

وَمِنْ بَينِ الشُّعَراءِ الذينَ اشتَهَرُوا بالغَزَلِ وَأَكثَرُوا مِنْهُ الوأواءُ الدِّمشقِيّ، إِذْ إِنَّ أَكثَرَ دِيوانِهِ غَزَلٌ؛ لأَنَّه كانَ حَياتَهُ كُلَّها فيما نَعتَقِد[2]، وَقَدْ تَمَيَّزَ الدِّمشقِيُّ وَأَبدَعَ في هذا الفَنِّ إِبداعاً كَبِيراً، الأَمر الذي دَفَعَ مُصطفى الشَّكعة إِلى تَتويجِهِ أَميراً لِلغَزَلِ الرَّقيقِ عَلَى شُعَراءِ بَني حَمدان[3]؛ لأَنَّ "مذهبه جمال كله، ورقة متناهية"[4]، كَمَا أَنَّ سعود عبد الجابر جَعَلَهُ إِماماً للشُّعَراءِ الغَزِلينَ في بَلاطِ سَيْفِ الدَّولَةِ الحَمدانِيّ[5].

---

* جامعة النجاح الوطنية – نابلس.

[1] ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: **الشعر والشعراء**، بيروت: دار الثقافة، 1964، 21/1.

[2] يُنظر: الوأواء: **ديوانه**، مقدمة المحقق، ص26.

[3] يُنظر: الشكعة، مصطفى: **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين**، ص234-235.

[4] المرجع السابق، ص235.

[5] يُنظر: عبد الجابر، سعود محمود: **الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني**، ص245.

وَإذا مَا أَلقَينا نَظْرَةً فاحِصَــةً مُمَحِّصَــةً في غَزَلِهِ فَإِنَّنا نَجِدُ أَنَّ مِنْهُ ما جاءَ عَلَى هَيئَةِ قَصــائِدَ مُسـتَقِلّة، وَمِنهُ مَا جَاءَ عَلَى صُـورَةِ مَقطوعاتٍ قَصـيرَةٍ وَطَويلة، وَمِنْهُ مَا صُـدِّرَتْ فيهِ قَصـائِدُهُ غَيْرُ الغَزَلِيَّة، وَتَتَمَثَّلُ في قَصـائِدِ المَدِيحِ وَالخَمْرِ وَوَصْـفِ الطَّبيعَة، وَهُوَ مَا يُعرَف بالغَزَلِ التَّقليدِيّ، وَقَدْ أُطلِقَ عَلَيْهِ هَذا المُصـطلحُ؛ لأنَّ اسـتِهلالَ القَصـائِدِ –على اختِلافِ مَوضـوعَاتِهَا وَأَغراضِـهَا- بالغَزَلِ تقَليدٌ سَارَ عَلَيْهِ الشُّعَراءُ العَرَبُ في عُصورِهِمِ الأَدَبِيَّةِ، إلى حَدِّ أَنَّهُم كانُوا فيهِ يُطلِقونَ عَلَى القَصيدَةِ التي تَخلُو مِنَ المُقَدِّمَةِ الغَزَلِيَّةِ مُصـطَلَحَ القصـيدَة البَتْراء، قِياسَــاً عَلى الخُطبَةِ البَتراءِ التي لا تَبدأُ بِحَمْدِ الله عَزَّ وَجَلّ[1]، لِذلِكَ فَهَذا النَّوعُ غَالِبَاً ما يكونُ غَزَلاً صِناعِيَّاً مُتَكَلَّفاً لا أَثَرَ فِيهِ لِعَاطِفَةِ الحُبِّ الصَّادِقَةِ، وَحَرارَةِ الجَوى الذي يُذيبُ النَّفسَ شَوْقَاً وَحَنِينَاً.

وَمِنَ المُلاحَظِ أَنَّ الوأواءَ لَمْ يَتَغَزَّلْ بِفَتَاةٍ مُحدَّدَةٍ بِعَيْنِهَا، حَيْثُ إِنَّهُ لَمْ تَذْكُرْ كُتُبُ التَّاريخِ والتَّراجِمِ أَخبَاراً لَهُ مَعَ فَتَاةٍ مُعَيَّنَةٍ يَعشَقُهَا، وَلَمْ يُضَمِّنْ شِعْرَهُ الغَزَلِيّ مَا يُدَلِّلُ عَلَى ذلِك، كَمَا أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ عَلَى ذِكْرِ أَسْـمَاءِ مَنْ تَغَزَّلَ بِهِنّ، وَلَمْ يَذكُرْ أَيَّةَ قَرينَةٍ تَدُلُّ عَلَى شَخْصِـيَّاتِهِنّ، وَرُبَّمَا كانَ ذَلِكَ حِفَاظَاً عَلَى سُـمعَتِهِنَّ مِن أَنْ تُدَنَّسَ أَوْ تُهان، وَخَوفَاً مِنْ أَنْ يشـتَهِرَ أَمْرُهُ مَعَهُنَّ بَيْنَ النَّاس، غَيْرَ أَنَّ طَبيعَةَ الحَياةِ اللَّاهِيَةِ الماجِنَةِ الفَاسِـقَةِ التي كانَ الوأواءُ يَحيَاهَا تَجعَلُ هذا التَّعليلَ مُسـتَبعَداً، وَتَقُودُنا إلى تَفْسِـيرٍ آخَرَ يَخْتَلِفُ عَنِ الأَوَّلِ اختِلافَاً جَذرِيَّاً، وَيَتَمَثَّلُ في أَنَّ عِشْـقَهُ لِلنِّسـاءِ اللَّواتِي تَغَزَّلَ بِهِنَّ لَمْ يَكُنْ –في الأَعَمِّ الأَغلَبِ- عِشْقَاً حَقيقِيَّاً صادِقَاً نابِعَاً مِن أعماقِ نَفْسِهِ، وَإِنَّمَا كانَ تَسْلِيَةً وَتَزْجِيَةَ فَرَاغٍ، وَشَهوَةً طارِئَةً وَنَزوَةً عَابِرَةً يَقضِـيهَا مَعَ الإماءِ وَالجَوارِي اللَّواتِي انتَشَـرْنَ في العَصْـرِ العَبَّاسِـيّ انتِشـارَاً كَبِيراً، وَاشـتَهَرنَ اشـتِهَاراً عَظيمَاً، وَكُنَّ يُجِدْنَ الرَّقصَ وَالغِنَاءَ وَفُنُونَ الإغراء، وَيُخالِطْنَ الرِّجالَ في مَجَالِسِ اللَّهوِ وَالعَبَثِ وَالقَصْـفِ وَالخَلاعَةِ وَالمُجُونِ التِي كَانَ يَتَرَدَّدُ عَلَيْهَا بِكَثْرَةٍ، وَيَقضِي فِيهَا أَيَّامَهُ الصَّـاخِبَةَ وَلَيالِيَهُ الحَمراء.

وَيُمْكِنُ مِنْ خِلَالِ دِرَاسَةِ غَزَلِيَّاتِ الوأواءِ وَالتَّدقِيقِ فِيها تَقسِيمهَا اعتِمَادَاً عَلَى طَبيعَتِها وَمَضامينِها إلى قِسْمَيْنِ اثنَين، هُمَا:

أَوّلاً: الغَزَلُ المَعنَويُّ العَفيف:

هُوَ الغَزَلُ الذي يُصَـوِّرُ فِيهِ الشَّـاعِرُ –أَيُّ شَـاعِرٍ- مَا اعْتَوَرَ نَفْسَـهُ مِنْ حُبٍّ صَـادِقٍ مُخْلِصٍ، وَمَشَـاعِرَ مُلتَهِبَةٍ وَعَواطِفَ حَرَّاقَة، وَتَأْثِيرَهَا فِي نَفْسِـهِ، وَيَصِـفُ فِيْهِ –كَذلِكَ- مَوقِفَ المَحبُوبَةِ مِن حُبِّهِ، وَعِتَابَ الأَصْـدِقَاءِ لَهُ فِيهِ، إلى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ النَّواحِي المَعْنَوِيَّةِ التي لا تَشْـرَحُ جَسَـدَ المَرأَةِ وَلا

[1] يُنظر: ابن رشيق، القيرواني: **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، 231/1.

تَتَعَرَّضُ لِمَوَاضِعَ حِسِّيَّةٍ فِيهِ، وَلا تَشْتَمِلُ عَلَى التَّعَابيرِ المَكشُوفَةِ وَالأَلفَاظِ الفَاضِحَةِ وَالصَّراحَةِ المُخجِلَةِ التي تَخْدِشُ الحَياءَ العَامّ[1].

وَفِيما يَأتِي تَفصِيلٌ لأَهَمّ المَضامِين والمَعاني التي يَقُومُ عَلَيهَا الغَزَلُ المَعنَوِيُّ فِي شِعرِ الوأواءِ الدِّمَشقِيّ، وذلِكَ عَلَى النَّحوِ الآتِي:

أَوَّلاً: المُعَانَاة:

يُعَدُّ تَصويرُ المُعانَاةِ التي يَشعُرُ بِها الوأواءُ مِنَ الحُبّ، وَمِنْ صُدُودِ المَحبُوبَةِ وَهجرانِهَا وَفِراقِهَا لَهُ، مِن أَهَمّ المَضامِين المَعنَوِيَّةِ فِي غَزَلِيَّاتِهِ، وَلَقَدْ تَعَدَّدَتِ الصُّوَرُ وَالوَسَائِلُ وَالأَسَاليبُ التي استَخْدَمَهَا لِلْكَشْفِ عَن هَذِهِ المُعَانَاةِ وَإِبرازِهَا، وَهِي:

أ: تصويرُ عَذَابِهِ وَحُزنِهِ وَمَرَضِه:

مِنَ الطَّبِيعِيّ أَنْ يَتَعَذَّبَ العاشِقُونَ وَيَحزَنُوا وَيَتَأَوَّهُوا وَيَتَأَلَّمُوا، وَتَضعُفَ أَجْسَادُهُم وَيُبَرِّحَهَا العِشقُ وَالهيامُ وَيُصيبَهَا المَرَضُ وَالسّقَام[2]، وَقَدْ عَبَّرَ الوأواءُ عَنْ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِن دِيوانِهِ، فَهَا هُوَ ذَا يَجْعَلُ أَشوَاقَهُ وَحَنِينَهُ إِلى المَحبُوبَةِ جَيْشَاً يَحتَلُّ قَلْبَهُ وَيُعَسكِرُ فِي فُؤَادِهِ، وَيُشِيرُ إِلى المَرَضِ وَالسَّقَمِ الذي أَصابَهُ وَأَبلَى جَسَدَهُ فِي قَولِهِ:[3] **[البسيط]**

عَساكِرُ الشَّوْقِ في قَلْبِي مُخَيِّمَةٌ ... مُذْ خَيَّمَ الوَجْدُ لِيْ في رَبْعِ حُبِّيها

هَا قَدْ لَبِسْتُ ثِيابَ الضُّرِّ فِيكِ فَقَدْ ... بُلِيتُ بِالسُّقْمِ فيها قَبْلَ أُبْلِيها

وَيَجعَلُ تِلكَ الأَشواقَ الحَرَّاقَةَ التي يَختَزِنُهَا دَاخِلَ نَفْسِهِ نَاراً مُتَجَدِّدَةً تَمْتَدُّ أَلسِنَتُهَا لِتَحرِقَ قَلبَهُ وَأَحشَاءَه، وَفِي هَذِهِ الصُّورَةِ دلالَةٌ عَلَى المُعَانَاةِ العَظِيمَةِ وَالأَلَمِ الشَّدِيدِ الذي يُعانِي مِنْهُ فِي عِشقِهِ، يقول:[4] **[البسيط]**

يا مُوقِدَ النَّارِ في قلبي وفي كَبِدِي ... أَوْقَدْتَ ما لَيْسَ يُطفا آخِرَ الأَبَدِ

أَوقَدْتَ نَارَ الهوى بالشَّوْقِ فاشْتَعَلَتْ ... مِنَ الْجوانِحِ لم تَخْمُدْ ولم تَكَدِ

---

[1] يُنظر: هدارة، محمد مصطفى: **اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري**، القاهرة: دار المعارف، 1963، ص503.

[2] ينظر: ابن حزم، الأندلسي: **طوق الحمامة في الألفة والألّاف**، تح: إحسان عبَّاس، ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1993، ص26.

[3] الوأواء: **ديوانه**، ص249.

[4] الوأواء: **ديوانه**، ص86.

وَيُصَـرّحُ بِأَنَّ الشَّــوقَ وَالجَوَى يُشــعِلانِ قَلبَهُ وَفُؤَادَه، وَلِذا صَــارَ مُؤَرَّقاً لا يَعرِفُ لِلنَّومِ طَعمَاً، يَقول:[1] **[الكامل]**

بـانَ الـحـبـيـبُ فـبـانَ عـنـه صــبـرُهُ بـعـد الـحـبـيـبِ ومـا رأى مـحـبـوبـا
ســكـنَ الجوى والشــوقُ بينَ جَوانحي وغَـدا الـكـرى في مـقـلـتيَّ غـريـبـا

وَيُشِـيرُ فِي إحدى غَزَلِيَّاتِهِ إلى أَنَّ قَلبَ العَاشِـقِ المُخلِصِ لِمَحبُوبِهِ يَذُوبُ كَمَدَاً وَحُزنَاً وَشَـوقَاً إِذَا مَا فُجِعَ بالبَينِ وَالفراق، حَتَّى لَو كَانَت مَادَّتُهُ مِنْ حَدِيد، فَكَيفَ وَهُوَ مَخلُوقٌ مِن لَحْمٍ وَدَم ؟ وَذَلِكَ فِي قولِهِ:[2] **[مُخلّع البسيط]**

لَـوْ فَـجَـعَ الـبَـيـنُ قـلـبَ صَــبٍّ ذَابَ ولــوْ كــانَ مِــنْ حَــديــدِ

وَلأَنَّ العِشــقَ أَذَابَ قَلبَهُ وَأَهلَكَهُ، وَمَنَعَ عَينَيهِ مِنَ الغَمضِ وَالنَّوم؛ فَإِنَّهُ يَشْــتَكِي مِنَ التَّعَبِ وَالنَّصَبِ الذي أَصَابَهُ، وَيَصِفُهُ –لِكَثْرَتِهِ- بِأَنَّهُ عَظيمٌ لا يَنتَهِي وَلا حُدُودَ لَه، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ:[3] **[المنسرح]**

فُــؤادُ صَــبٍّ أَذابَــهُ الْــكَــمَــدُ وَجَـفْـنُ عَـيْـنٍ أُودى بِـهِ السَّــهَـدُ
يـا زَفَـراتي كَـمْ أَشْــتَـكـيـكِ فَـمَـا يُـنْـصِــفُـنـي مِـنْـكِ في الْـهَـوى أَحَـدُ
لِـكُـلِّ شَـيْءٍ حَـدٌّ يَـبِـيـنُ بِـهِ وَمَــا لِــوَجْــدِي حَــدٌّ وَلا أَمَــدُ

وَيُصَوِّرُ الوأواءُ –مَرَّةً أُخرى- مَا فَعَلَتهُ الأَحزانُ وَالأَشواقُ بِقَلْبِهِ فِي قَولِهِ:[4] **[الطويل]**

لَـقـد بَـرَّحَ الـبَـيْـنُ الْـمُـبَـرِّحُ والـحـبُّ بقلبي؛ وهـل يبقى عَلَى لوعَـةٍ قلـبُ!
تـعـزَّزْتُ مُـغـتـرّاً بـمـا الـبـيـنُ صــانـعٌ ولـم أَدرِ أَنَّ الـبـينَ مـركـبُـهُ صَــعْـبُ

وَيُصَـرّحُ بِأَنَّهُ لَو كَانَتِ الأَحزَانُ وَالأَشـواقُ تُمِيتُ صَـاحِبَهَا، لَكَانَ أَوَّلَ عَاشِـقٍ مَاتَ حُزْنَاً وَكَمَدَاً مِنَ الحُبِّ، وَيَبدُو أَنَّ صُـدودَ المَحبُوبَةِ وَهَجرَهَا لِلشَّـاعِرِ قَدْ طَالَتْ مُدَّتُهُ؛ لِذَا جَعَلَ نَفْسَـهُ وَقْفَاً لِلأَحزانِ وَالأَسـقَامِ وَالأَمراضِ بأَنواعِهَا وَأَصنَافِهَا المُختَلِفة، يَقُول:[5] **[البسيط]**

---

[1] المصدر السابق، ص51.

[2] المصدر السابق، ص88.

[3] المصدر السابق، ص76.

[4] الوأواء: **ديوانه**، ص47.

[5] المصدر السابق، ص240-241.

لَـوْ قِـيـلَ: هَـلْ رَجُـلٌ طـالَـتْ بَـلِـيَّـتُـهُ ... لاسْـتَـعْبَرَتْ مُـقْـلَـتِي حَـتَّى أَقُـولَ: أَنَـا
وَلَـوْ قَضـى حَـزَنـاً مُسْـتَـهـتِرٌ دَنِـفٌ ... لَـكُـنْـتُ أَوَّلَ مَـحْـزُونٍ قَضـى حَـزَنـا
هـذا كِـتـابُ فَـتىً طـالَـتْ صَـبَـابَـتُـهُ ... مُكَبَّـلٍ في الْـهَوى وَقْـفٍ لِـكُـلِّ ضَـنـى

وَإِذَا مَا رَأَى الوأواءُ دِيَارَ المَحبُوبَةِ فَإِنَّ نِيرانَ الأَشْـواقِ تَضْـطَرِمُ فِي جَسَـدِهِ فَيَذُوبُ كَمَدَاً وَشَـوقَاً وَحَنِينَاً، وَتَدْرِفُ عَينَاهُ دَمْعَاً غَزِيرَاً مِدرَارَاً، يَقُول:[1] **[الوافر]**

كَـتَـبْـتُ إِلَـيْـكُـمُ بِـيَـدِ الـدُّمُـوعِ ... وَمـا أَمْـلـى سِـوى قَـلْـبِي الْـمَـرُوعِ
أَرى آثـارَكُـمْ فَـأَذُوبُ شَـوْقـاً ... وَأَسْـكُـبُ في مَـوَاطِـنِـكُـمْ دُمُـوعي

وَلَجَأَ الوأواءُ إِلى مُبالَغَةٍ عَظِيمَةٍ؛ لِيُظهِرَ شِـدَّةَ النَّصَبِ وَالسَّـقَمِ وَالضَّنَى وَالضَّـعفِ الذي أَصَابَ جَسَدَهُ بِسَبَبِ الحُبِّ، وَمَفَادُهَا أَنَّهُ أَصبَحَ يَستَطِيعُ أَنْ يَمْشِيَ عَلَى الماءِ دُونَ أَنْ يَغْرَقَ فِيهِ، وَذَلِكَ فِي قَولِهِ:[2] **[السريع]**

حَـوَيْـتُ أَسْـقـامَ الْـوَرى مُـفْـرداً ... وحـازهـا الـنَّـاسُ بـأَسْـمـاءِ
لَـوْ شِـئْـتُ أَنْ أَمشـي لِـفَـرْطِ الضَّـنى ... مشـيـتُ مِـن سُـقْـمي عَـلَى المـاءِ

وَفِي مُبالَغَةٍ أُخرى يَقولُ إِنَّهُ إِذَا مَا اجْتَمَعَتْ أَشْـجَانُ العَاشِـقِينَ جَميعهُم وَقُورِنَتْ بالأَشْـجَانِ وَالأَحزَانِ المُتَجَمِّعَةِ فِي قَلْبِهِ، فَإِنَّهُ لا بُدَّ أَنْ تَرجَحَ الثَّانِيَةُ عَلَى الأُولَى:[3] **[البسيط]**

قَـالُوا جَفَـاكَ الـذي تَهْوى فَقُلْـتُ لَهُمْ: ... نَـوْمِي تَـعَـلَّـمَ مِـنْـهُ فَـهْـوَ يَـجْـفُـونـي
لَـوْ قَـاسَ مَنْ قَـدْ مَضـى حُبِّي بِحُبِّهِمُ ... كـانُوا إِذا وُصِـفَـتْ أَشْـجَـانُهُمْ دُوني

وَيُصَـرِّحُ بِأَنَّهُ لَو أَرادَ أَنْ يَصِـفَ أَشْـواقَهُ لِلمَحبُوبَةِ فَإِنَّهُ لا يَسـتَطِيعُ ذَلِك، لا عَجْزَاً، وَإِنَّمَا لأَنَّهَا تَفُوقُ حُدُودَ الوَصفِ وَتَتَجَاوَزُهَا، وَلا تَستَطِيعُ الكَلِمَاتُ استِيعَابَهَا وَالتَّعبِيرَ عَنهَا:[4] **[أحذّ الكامل]**

شَـوْقي إِلَـيْـكَ مُـجـاوِزٌ وَصْـفِـي ... وَظُـهـورُ وَجْـدِي فَـوْقَ مَـا أُخْـفِـي

---

[1] المصدر السابق، ص145.

[2] المصدر السابق، ص6.

[3] الوأواء: **ديوانه**، ص225-226.

[4] المصدر السابق، ص149.

وَفِي طُرْفَةٍ ظَرِيفَةٍ استَعْمَلَ الوأواءُ الاستِعَارَةَ لِلْكَشْفِ عَمَّا في نَفْسِهِ مِنْ جَوَىً وَأَشواق وَحَنِين إِلى مَحبُوبَتِهِ، وَصَرَّحَ بِأَنَّهُ إِذَا مَا أَرَادَ تسجيلَ تِلكَ الأَشواقِ عَلَى قِرطَاسٍ فَإِنَّ ذَلِكَ القَرطَاسَ لَنْ يَحْتَمِلَ تِلكَ العَواطِفَ الحارَّةَ وَالأَشــواقَ المُلتَهِبَةَ؛ وَلِذَا فَإِنَّهُ –أي القِرطاس- سَـيَبدَأُ بالبُكاءِ حُزناً عَلَيهِ، ثُمَّ سَيَحتَرِقُ وَيُصْبِحُ رَمَاداً، يقول:[1] **[البسيط]**

إِنّي طَلَبْتُ إِلى الْقِرْطاسِ يَحْمِلُ لي ... بَعْضَ الَّذي بي إِلَيْكُمْ زَادَني قَلَقا
فَظَلَّ يَرْعَدُ في كَفّي فَأَوْهَمَني ... بِأَنَّهُ لِلَّذي أَهْواهُ قَدْ عَشِقا
أَشْكُو إِلَيْهِ فَيَبْكي حِينَ يَسْمَعُنِي ... مِنْ رَحْمَتي وَلَوِ اسْتَنْطَقْتُهُ نَطَقا
حَتّى إِذا عَلِمَ القِرْطاسُ ما كَتَبَتْ ... كَفّي مِنَ الشَّوْقِ في أَحْشائِهِ احْتَرَقا

وَيُصَرِّحُ بِأَنَّ لَوْعَةَ الحُبِّ فِي قَلْبِهِ مُتَجَدِّدَةٌ مُستَمِرَّةٌ، لا تَنْضَبُ وَلا نِهَايَةَ لَهَا، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ:[2] **[البسيط]**

لِكُلِّ شَيْءٍ نِهاياتٌ تَبيدُ وَما ... لِلَوْعَةِ الحُبِّ في قَلْبي نِهاياتُ

وَالوأواءُ دَائِمُ الشَّكوى مِنَ الحُبِّ وَعَذابِهِ وَنِيرانِهِ، وَيَظهَرُ ذَلِكَ جَلِيّاً فِي مَقطُوعَةٍ بَدِيعَةٍ لا تَخلُو مِن رُوحِ الفُكاهَةِ، يَتَغَزَّلُ فِيهَا بِمَحبُوبَةٍ أُصيبَت بِدَاءِ الجَرَبِ، فَبَينَمَا هِيَ تَشتَكِي مِن أَلَمِ الحَبِّ الظَّاهِرِ عَلَى جَسَدِهَا وَحَرِّهِ، كَان الوأواءُ يَشتَكِي وَيَتَأَوَّهُ مِن حَرِّ النِّيرانِ المُستَعِرةِ فِي قَلبِهِ بِفِعلِ عِشقِهِ لَهَا، يقول:[3] **[مجزوء الرمل]**

يا صُروفَ الدَّهرِ حَسْبي ... أَيُّ ذَنْبٍ كانَ ذَنْبي
طَرَقَتْني نائباتُ الدَّ ... هْرِ في إِعلالِ حِبّي
عِلَّةٌ عَمَّتْ وَخَصَّتْ ... في حَبيبٍ وَمُحِبِّ
دَبَّ في كَفَّيْهِ مَا مِنْ ... حُبِّهِ دَبَّ بِقَلْبي

[1] المصدر السابق، ص170.
[2] المصدر السابق، ص62.
[3] الوأواء: **ديوانه**، ص56-57.

وَكَي يُظهِرَ الوأواءُ لِلمَعشُوقَةِ الحرقَةَ وَالمَرَارَةَ وَالكَمَدَ الذي أَصَابَهُ مِنَ الحُبّ، فَإِنَّهُ يَطلُبُ مِنهَا أَنْ تَصُبَّ عَلَى جَسَدِهِ المُحتَرِقِ بِنَارِ الجَوَى مَاءً بَارِداً، وَأَنْ تَستَمِعَ إِلى صَوتِ الماءِ حينَ يُلامِسُ قلبَهُ المُلتَهِب، يَقُول:[1] **[السريع]**

يا مُنْكِراً شكوايَ نارَ الْهَوَى	**قد زدتَنِي كرباً عَلَى كَرْبِي**
أَفِضْ عَلَيَّ الماءَ أَو فاسقِني	**ماءً وكنْ مِنِّي عَلَى قُرْبِ**
تَسمع لِلماءِ نَشيشاً إِذا	**ما وصل الماءُ إِلى قلبي**

وَلَقَد نَجَحَ الشَّاعِرُ في تَقريبِ المَعنى، باستِخدَامِهِ مُفرَدَةَ (نَشِيشَاً)؛ لأَنَّها تَكشِفُ عَنِ المَعنَى المُراد مِن حَرفِ الشِّينِ المُكَرَّر، ذَلِكَ أَنَّ نُطقَهُ يُشبِهُ الصَّوتَ النَّاشِئَ عَن وُقُوعِ المَاءِ عَلَى جَسَدٍ حَارّ.

وَقَدْ نَتَجَ عَن هَذِهِ الأَشواقِ وَالأَحزَانِ المَكبُوتَةِ فِي نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الصُّدُودِ وَالهجرانِ الذي تَعَرَّضَ لَهُ ضَعفٌ وَسَقَمٌ وَمَرَضٌ في جِسْمِهِ، حَيثُ كَرَّرَ الوأواءُ هذا المَعنَى فِي كَثِيرٍ مِن أَشعَارِهِ، وَمِن ذَلِكَ قولُهُ:[2]

[الكامل]

يا مَنْ أَقامَ قيامتي بصدودِهِ	**الجسمُ ينحل والفُؤادُ يذوبُ**
أَسقَمْتَنِي فلقيتُ منْ طولِ الضَّنا	**ما لا يُقاسي بعضَهُ أَيُّوبُ**

وَقَولُهُ مُجانِساً بَينَ لَفظَتَي (بَليتُ) وَ (بُلِيْتُ)، وَمُستَعملاً عُنصُرَ المُبالَغَةِ وَالتَّهويلِ مُشيراً إِلى أَنَّ جِسمَهُ ذَابَ وَهَلَكَ إِلى دَرَجَةِ أَنَّهُ لا يَكَادُ يُرى؛ وَذَلِكَ إِبرازاً لِلمَعنى وَتَقوِيَتِهِ وَتَأكِيدِهِ، يقول:[3]

[الوافر]

بَليتُ لأَنَّني بِكَ قَدْ بُلِيتُ	**فَلَسْتُ بِمُنْتَهٍ مِمَّا نُهيتُ**
أُلامُ وَقَدْ أَصَمَّ الْحُبُّ سَمْعِي	**وَيُرْشِدُني الْعَذُولُ وَقَدْ عَمِيتُ**
وَأَنْحَلَنِي فَلَو إِنْسانُ عَيْني	**تَضَمَّنَ جَفْنُهُ جِسْمِي خَفِيتُ**

[1] المصدر السابق، ص37-38.

[2] المصدر السابق، ص49.

[3] الوأواء، **ديوانه**، ص62

وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذلِكَ، فَإِنَّهُ يُقَرِّرُ بِأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنهُ –بَعدَ ذَوَبَانِ جَسَـدِهِ وَهَلاكِهِ- سِـوى اسـمِهِ الَّذي يَتَرَدَّدُ ذِكرُهُ بَينَ النَّاس، يقول فِي ذَلِكَ:[1] **[السريع]**

يـا حَـاكِـمـاً قَـدْ جَـارَ في حُـكْـمِـهِ وَهْـوَ إِذَا يُـنْصِـفُـنـي خَصْـمِـي
تَـرَكْـتَ جِسْـمِـي عَـرَضـاً قَـائِـمـاً لَـمْ يَـبْـقَ لِي مِـنْـهُ سِـوى اسْـمِـي

وَتَجدُرُ الإِشَـارَةُ إِلى أَنَّ الوأواءَ، وَعَلَى الرّغمِ مِن مُعَانَاتِهِ وَحرقَتِهِ وَسَـقَمِهِ وَأَرَقِهِ بِسَـبَبِ فِراقِ المَحبُوبَةِ وَهجرَانِهَا وَبَيْنِهَا، فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى لَهَا كُلَّ خَيرٍ، وَيَدعُو لَهَا بِدَوامِ الفَرَحِ وَالسَّعَادَةِ وَالسُّرُور، وَحينَ عَلِمَ بِأَنَّ سَـقَمَهُ وَحُزنَهُ يُفرِحُ المَحبُوبَةَ، فَإِنَّهُ زَادَ مِن ذَلِكَ السَّـقَمِ وَالمَرَض، لَيسَ لِشَـيءٍ إِلا لِتَزدادَ المَحبُوبَةُ فَرَحَاً وَسَعَادَةً، وَهَذَا إِنْ دَلَّ عَلَى شَيءٍ فَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى صِدقِ الوأواءِ وَإِخلاصِهِ فِي عِشقِهِ وَهِيامِهِ، وَيَظهَرُ ذَلِكَ جَلِيَّاً مِن قَولِهِ:[2] **[البسيط]**

لا أَرَّقَ اللهُ عَـيْـنَـيْ مَـنْ يُـؤَرِّقُـنـي وَلا مَـلا مـثـل قـلـبـي قَـلْـبَـهُ بُـرَحَـا
قَـدْ سَـرَّنِي أَنَّهُمْ قَـدْ سَـرَّهُمْ سَـقَمي فَـازْدَدْتُ سُـقْـمـاً لِيَزْدادوا بِـهِ فَـرَحَـا

وَكَرَّرَ شَيئاً مِمَّا سَبَقَ فِي قَولِه[3]: **[البسيط]**

قَـدْ سَـرَّنِي أَنَّهُمْ قَـدْ سَـرَّهُمْ سَـقَمِي فَازْدَدْتُ كَيْما يُسَـرُّوا بِالضَّـنى سَـقَما

وَيَتَبَيَّنُ لِمَن يُمعِنُ النَّظَرَ فِي الأَبياتِ السَّـابِقَةِ جَميعِهَا، أَنَّهَا مُفعَمَةٌ بالحُبِّ وَالأَلَمِ، مَليئَةٌ بالمَعَانِي الوجدَانِيَّةِ الحَزِينَةِ الَّتي تَدُورُ بَينَ كُلِّ عَاشِـقَين بَينَهُمَا صُـدودٌ وَهجرَان، وَيُلاحَظُ أَنَّهَا تَشـتَمِلُ عَلَى الكَثِيرِ مِنَ المُفرَدَاتِ وَالتَّراكِيبِ الَّتي يُستَشَفُّ مِنهَا صِدق عَاطِفَةِ الشَّاعِرِ الوأواءِ وَإِخلاصِهَا، وَالتِهَاب مَشاعِرِهِ فِي الحُبّ، كَمَا أَنَّهُ يُستَشَفُّ منها ما أَصَابَهُ مِن حُزْنٍ وَهزَالٍ وَسَقَمٍ عَظِيمٍ كَادَ يُودِي بِحَيَاتِهِ فِي سَـبيلِ ذَلِكَ الحُبّ، وَمِنهَا: ينحَلْ، وَيذُوب، وَأَسـقَمتَنِي، وَالضَّـنا، وَيُقاسِـي، وَالجَوى، وَالشَّـوق، وَبَليْتُ، وَأَنحَلَني، وَنار الهوى، وَاشتَعَلَت، وَفَجَعَ، وَالبَيْن، وَذابَ، وَنَشِيش.

ب: البُكَاءُ وَذَرْفُ الدُّمُوعِ الغِزار:

لَقَد كانَ الوأواءُ عَاشِـقَاً مُتَيَّماً لا يَجِدُ الحَياةَ إِلَّا بِقُربِ مَنْ يُحِبُّ، وَلا يَشعُرُ بالسَّعادَةِ وَالطّمأنينَةِ إِلَّا بِوِصـالِهِ، فَإِذا لَمْ يَنَلِ الوِصـالَ أَصـابَهُ المَرَضُ وَالسَّـقَمُ، وَاحتَرَقَ قَلبُهُ، وَذَابَ فُؤادُهُ، وَنَحَلَ

[1] الوأواء ، ديوانه، ص211.
[2] المصدر السابق، ص69.
[3] المصدر السابق، ص200.

جِسمُهُ، وَطَفِقَ يَبكِي بِدَمْعٍ غَزيرٍ مِدرارٍ حُزناً وَأَسىً[1]، وَكَثيراً ما أَعلَنَ عَن هَذِهِ الحالَةِ في شِعرِهِ، وَمِن ذلِكَ قولُهُ:[2] **[السريع]**

مَضَـى الَّـذي أَودَعَ قَـلـبي الْـجَـوى فَـدَمْـعَـتي مِـنْ حَسْـرَتي قَـاطِـرَه

وَقَولُهُ مُستَحضِراً شَخصِيَّةَ النَّبِيّ أَيوب عَلَيهِ السَّلام، وَمَا عاناهُ خِلالَ دَعوَتِهِ لِقَومِهِ مِن أَسىً وَضَنىً وَسَقَم، حَيْثُ جَعَلَ مُعَاناتَهُ بِسَبَبِ فِراقِ إِلفِهِ مِثلَ مُعَاناةِ أَيوب عَلَيهِ السَّلام، كَمَا أَنَّهُ استَحضَرَ شَخصِيَّةَ النَّبِيّ يعقوبَ عَلَيهِ السَّلام وَبُكاءَهُ عَلَى فِراقِ ابنِهِ النَّبِيّ يوسُف عَلَيهِ السَّلام[3]، حَيثُ جَعَلَ الشَّاعِرُ بُكاءَهُ عَلَى فِراقِ مَن يَعشَق كَبُكاءِ يعقوبَ عَلَيهِ السَّلام، وَذَلِكَ بِجامِعِ اشتِراكِهِمَا في غَزَارَةِ الدُّموعِ وَحَرارَتِهَا، يقول:[4] **[الكامل]**

يَـا مَـن أَقـامَ قِـيـامَـتي بصـــدودِهِ الـجِســمُ يـنـحـل والـفـؤادُ يـذوبُ
أَسْــقَمتَني فلقيتُ مِنْ طولِ الضَّــنـا مـا لا يُـقـاسـي بـعضَــهُ ((أَيُّـوبُ))
وبـكـيـتُ مـن جَـزَعٍ عَـلَـيـكَ بِـحُـرقَـةٍ أَسَــفـاً عليـكَ كَمـا بَكى ((يَعْقُوبُ))

وَدُمـوعُ الوأواءِ تَنسابُ عَلَى وَجنَتَيهِ إِذا رَحَلَت عَنهُ المَحبُوبَةُ، أَو فَارَقَتهُ، وَقَد عَبَّرَ عَن ذَلِكَ في بَعضِ أَشعارِهِ، وَمِنها قولُهُ:[5] **[المتقارب]**

حَـقِـيـقٌ لِـعَـيْـنَـيَّ أَنْ تَـدْمَـعَـا لِـحَـرِّ الـفِـراقِ وَأَنْ تَـجْـزَعـا
وَأَلْـطِـمُ خَـدَّيَّ حُـزْنَـاً عَـلَـيْـهِ وَأَبْـكِـي عَـلَـى الإِلْـفِ إِذْ وَدَّعَـا

وَبِمُجَرَّدِ أَن يَتَذَكَّر الشَّاعِرُ المَحبُوبَةَ البَعيدَةَ عَنهُ، فَإِنَّهُ يَذْرِفُ عَلَيْهَا دَمعاً غَزيراً مِدراراً:[6] **[أحدّ الكامل]**

مَـا دارَ ذِكْـرٌ مِـنْـكَ في خَـلَـدي إِلا طَـرَفْـتُ بِـدمْـعَـتي طَـرْفي

---

[1] يُنظر: الوأواء: **ديوانه**، مقدمة المُحقق، ص27.

[2] المصدر السابق، ص106.

[3] للاستزادة: يُنظر: بيومي، محمد: **قصص القرآن دروس وعبر للدعوة والدعاة**، ط1، المنصورة: مكتبة الإيمان، 2006، ص189-212.

[4] الوأواء: **ديوانه**، ص49.

[5] الوأواء: **ديوانه**، ص141.

[6] المصدر السابق، ص150.

وَهُوَ يَتَعَجَّبُ مِن أَنَّهُ اكتَفَى بالبُكَاءِ عَلَى فِراقِ الأحبابِ، وَلَمْ تَخرُجْ روحُهُ بِسَبَبِهِ، يقول:[1]

[الكامل]

سَـــاروا وَمَـا عَـاجـوا عـلـيـكَ بـنـظـرَةٍ ... اللهُ يـحـفـظُ مَـنْ جَـفـاك وَيَصـــحـبُ

لـيـسَ الـتَّـعـجُّـبُ مـن بـكـاكَ لـفـقـدِهِـمْ ... لـكـنْ بـقـاكَ مَـعَ الـتَّـفـرُّقِ أَعـجَـبُ

وَإِذا رَأَى الوأواءُ أَطلالَ المحبوبَةِ وَآثارَ دِيارِهَا بَعْدَ الرَّحيلِ عَنهَا، أَو مَرَّ بِهَا فَإِنَّهُ يَبكِي بِحُرقَةٍ وَمَرارَة، يقول **[الطويل]**

أَمَغْنى الهَوى غـالَـتْـكَ أَيْـدي الـنَّـوائِـبِ ... فَـأَصْـبَحْتَ مَغْنَىً لِلصَّـبا وَالْجَنائِبِ[2]

إِذا أَبْصَـرَتْـكَ الْعَيْنُ جـادَتْ بِمُـذْهَـبٍ ... عَلَى مَـذْهَـبٍ فِي الْخَـدِّ بَيْنَ المَـذَاهِـبِ

والوأواءُ الشَّـاعِرُ الحَسَّـاسُ المُرهَفُ مَهمَا اجتَهَدَ في أَنْ يُخفيَ عِشـقَهُ وَحُبَّهُ وَاشـتِياقَهُ لِمَنْ يَهوى فَإِنَّهُ يَفشَـلُ؛ لأَنَّ دُمُوعَهُ تَفضَـحُهُ وَتَكشِـفُ عَنْ مَكنوناتِ نَفسِـهِ وَمَا يجولُ فيها مِنْ مَشـاعِرَ وَأَحاسيس، يقول:[3] **[البسيط]**

إِنّي لأَخْـفي اشـتـيـاقي، وَهْـوَ مُشْـتَـهِـرٌ، ... مِنْ أَينَ يَخفى، ودَمْعي صَاحِبُ الخَبَرِ؟!

وَيَقُول:[4] **[البسيط]**

كَـتَـمْـتُ مـا بي فَـنَـمَّـتْـهُ الـدُّمُـوعُ وكـمْ ... حَـذِرْتُ منهـا ومـا وُقِّـيـتُ مِنْ حَـذَرِي

وَلِكَثْرَةِ دُمُوعِهِ وَغَزارَتِها وَمُعاناتِهِ بِسَبَبِها؛ فَإِنَّهُ يَطلُبُ مِنْ مَحبوبَتِهِ أَن تُسَاعِدَهُ وَتُعينَه على إِيقافِ انحِدارِها مِن عَينَيه، وهذا لا يَتِمُّ إِلَّا بِوِصالِهَا لَهُ وَعَودَتِهَا إِليه، يقول:[5] **[الطويل]**

وَصَـــلْـتُ أَنـيـنـي في الـهَـوى بِـحَـنـيـنـي ... وَشَـــكْـوايَ مَـا أَلْـقى بِضَـــعْـفِ يَـقِـيـنـي

وَبَـيَّـضْـــتُ بـالْـهَـجْـرِ الـطَّـويـلِ نَـوَاظِـرِي ... وَوَرَّدْتُ مَـاءَ الـدَّمْـعِ بَـيْـنَ جُـفُـونـي

---

[1] المصدر السابق، ص43-44.

[2] النَّوائب: جمع نائبة، وهي ما يَنوبُ الإنسانَ، أَي ما ينزل به من المُهِمَّات والحَوادث والمصائِب. ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (نوب). الجنائب: جمع جنوب، وهي ريح تهبُّ من جهة الجنوب. مصطفى، إبراهيم وآخرون: **المعجم الوسيط**، مادة (جَنَبَ).

[3] الوأواء: **ديوانه**، ص98.

[4] المصدر السابق، ص99.

[5] المصدر السابق، ص235-236.

فَيَا مُلْزِمي ذَنْبَ الدُّمُوعِ الَّتي جَرَتْ ... فَأَبْدَتْ مِنَ الأَسْرارِ كلَّ مَصُونِ
أَعِنّي عَلَى تَأْدِيبِ دَمْعِي فَإِنَّهُ ... يَتُوبُ إذا ما كُنْتَ أَنْتَ مُعِينِي

وَإِذا كانتِ الدُّموعُ تَنحَدِرُ مِن عَينَيِ الوأواءِ بِهَذِهِ الصُّورَةِ وَهَذِهِ الغَزارَة، فَمِنَ الطَّبيعِيِّ أَنْ يَتَوَقَّفَ عِندَهَا، وَهُوَ الشَّاعِرُ الحاذِقُ المُفَلِّق، وَيَصِفَهَا وَصفاً دَقيقاً، وَهَذا مَا حَدَثَ بالفِعل، فَهَا هُوَ ذَا يُقدِّمُ لَهَا صُورةً مُستمدَّةً مِن عَالَمِ الطَّبيعَةِ وَوُرودِهَا وَأَزهارِهَا، حَيثُ شَبَّهَ الدُّموعَ التي تَتَناثَرُ عَلَى خَدِّهِ بِحُبَيبَاتِ مَاءِ النَّدى التي تَتَساقَطُ عَلَى زَهْرِ النّسرينِ الأَبيض، يقول:[1] **[البسيط]**

كَأَنَّ دَمْعِي عَلَى خَدِّي وَصُفْرَتَهُ ... حَبَابُ دَمْعِ النَّدى مِنْ حَوْلِ نِسْرِيْنِ

وَحُزْناً عَلَى هَجْرِ المَحبوبَةِ لِلوأواءِ انحَدَرَتِ الدُّموعُ، التي صَوَّرَهَا بِحُبَيبَاتِ اللُّؤلُؤ، مِن عَينَيهِ انحِداراً مُتَتابِعاً لا انقطاعَ فيهِ، وَجَعَلَ لَونَهَا أحمَر؛ لأَنَّ مَصدَرَهَا دَمُهُ وَقَلبُهُ، كِنَايَةً عَن حَرارَتِها وَعَنْ خُروجِهَا مِن أَعماقِ نَفْسِهِ وَوِجدانِهِ، لا مِنْ أَجفانِهِ وَحَسْب، وَقَد عَبَّرَ عَن ذلِكَ في قولِهِ:[2]

[مُخلّع البسيط]

يَا عَاتِباً لي بِغَيْرِ عَتْبِ ... وَهَاجِراً لي بِغَيْرِ ذَنْبِ
لولاكَ لَمْ تَجْرِ لي دُمُوعٌ ... سَكْباً عَلَى الخَدِّ فوقَ سَكْبِ
لا تُنْكِرَن إنْ جَرَتْ بِدُرٍّ ... مُنْتَثِرٍ لَمْ يُشَنْ بِثَقْبِ
صَيَّرَهَا في الجُفونِ حُمْراً ... تَصعيدُها مِنْ دَمِي وَقَلبي

وَكَرَّرَ المعنى الأَخيرَ في قولِهِ مُخاطِباً المحبوبة:[3] **[البسيط]**

عَنَّتْ يَدُ الدَّمْعِ في خَدِّي عِنانَ دَمٍ ... كَأَنَّهُ مِنْ أَديمِ الْقَلْبِ مَقْدُودُ

وَفِي لَحظَةِ فِراقٍ لاحَظَ الشَّاعِرُ دُموعَ مَعشوقَتِهِ وَهِيَ تَسيلُ عَلَى وَجنَتَيها، فَصَوَّرَهَا باللُّؤلُؤ، وَصَوَّرَ وَجنَتَيهَا بالياقوتِ، وَلَمْ يَنْسَ أَنْ يَصِفَ دُمُوعَهُ، حَيْثُ جَعَلَهَا كالحِجَارَةِ الكَريمَةِ الحَمراءِ وَذَلِكَ بِجَامِعِ اللَّون، وَصَوَّرَ خَدَّهُ الأَصفَرَ اللَّونِ بالذَّهَبِ، يقول:[4] **[البسيط]**

أَجْرى دُمُوعَاً كَمِثْلِ الدُّرِّ أَهْمَلَهَا ... مِنْ نَاظِرَيْهِ عَلَى يَاقُوتِ وَجْنَتِهِ

---

[1] المصدر السابق، ص226.
[2] الوأواء: **ديوانه**، ص55.
[3] المصدر السابق، ص71.
[4] المصدر السابق، ص63.

فَحَدَّرَتْ مُقْلَتا عَيْني العَقِيقَ عَلَى خَدٍّ حكى ذَهَباً مِنْهُ بِصُفْرَتِهِ

وَفِي صورَةٍ أُخرى اعتَمَدَ في وَصفِ دُمُوعِهِ الشَّفَّافَةِ اللَّامِعَةِ التي تَنحَدِرُ عَلَى وَجنَتَيهِ البُنِّيَّتين عَلَى عُنصُرِ اللَّونِ، حَيْثُ صَوَّرَهَا بِمَادَّةِ الفِضَّةِ المَوضُوعَةِ عَلَى أَرضٍ مَصنوعَةٍ مِنَ الذَّهَبِ الدَّاكِنِ اللَّون، وَذَلِكَ في قولِهِ مُخاطِباً مَن يَعشَق:[1] **[المتقارب]**

وَحَقِّ جُفُونِكَ فَهيَ الَّتي إذا ما حَلَفْتُ بِها أَصْدُقُ
لَقَدْ فَتَحَ الشَّوْقُ لِي مِنْ هَوَا كَ بَاباً مِنَ الشَّوْقِ لا يُغْلَقُ
كَأَنَّ دُمُوعي عَلَى وَجْنَتِي لُجَيْنٌ عَلَى ذَهَبٍ مُحْرَقُ

وَفِي مَقطوعَةٍ أُخرى عَاوَدَ تَصويرَ حُبَيبَاتِ ماءِ الدَّمعِ المُتَنَاثِرَةِ عَلَى خَدِّهِ بِاللُّؤلُؤِ، ثُمَّ استَعمَلَ أُسلوبَ التَّقسيمِ عَلَى لِسانِ مَحبوبَتِهِ، فَجَعَلَ الدَّمعَ الحقيقِيَّ الذي يَذرِفُهُ الإنسانُ بِصِدقٍ مِن أَعماقِهِ ضَربَينِ اثنَين، هُمَا: دَمْعُ الغَريبِ المُهاجِرِ عَنْ وَطَنِهِ وَأَهلِهِ وَدِيارِهِ، وَدَمْعُ المَهجُورِ الذي فَارَقَهُ إِلفُهُ، وَوَصَفَ دَمعَهَا عَلَى فِراقِهِ مُستَعْمِلاً تَصويراً جَمِيلاً، وَمُعتَمِداً عَلَى الحِجَارَةِ الكريمةِ المُلَوَّنَة، حَيْثُ صَوَّرَهُ بالعَقِيقِ الأَحمَرِ اللَّونِ المُذابِ في البلَّورِ الشَّفَّافِ اللَّامِع، يقول:[2] **[الخفيف]**

لَسْتُ أَنْسى مَقالَهَا لِي، ودمعي فَوقَ خَدِّي كَاللُؤْلُؤِ المَنْثُورِ
كُلُّ دَمْعٍ فَبِالتَّكَلُّفِ يجري غيرَ دَمْعِ الغَريبِ وَالمَهْجُورِ
وَرَّدَ البَينُ دَمْعَ عيني فَأَضْحى كَعَقيقٍ أُذيبَ في بِلَّورِ

وَبِهَذا فَإِنَّ الوأواءَ لَمْ يَصِفْ دُمُوعَهُ فحَسْب، وَإِنَّما وَصَفَ دَمْعَ مَحبوبَتِهِ، وَهَا هُوَ ذَا يَرسُمُ صُورَةً جديدَةً لَهَا، يُصَوِّرُهَا فيهَا بِعِقدٍ مِنَ اللُّؤلُؤِ المُتناثِرَةِ حُبَيباتُهُ عَلَى وَجنَتَيهَا، وَفي صورَةٍ بَديعَةٍ صَوَّرَ بَقَايا الكُحلِ الّذي يُزيّنُ عَينَيهَا، وَآثارَهُ عَلَى وَجهِهَا نَتيجَةَ ذَوَبانِهِ بِفِعلِ الدَّموع، صَوَّرَهَا بِبَقايا سَطرٍ قَديمٍ مَكتوبٍ عَلَى وَرَقَةٍ بالِيَةٍ، حَيثُ لا تَظْهَرُ مِنهُ إِلا بَعضُ الآثارِ البَسيطَةِ، وَذَلِكَ في قولِهِ:[3] **[الخفيف]**

جَعَلَتْ تَشتَكي الفِراقَ وَفي أَجْـ ـفَانِها عِقْدُ لؤلؤٍ مَنثورِ
وَكَأَنَّ الكُحْلَ السَّجِيقَ مَعَ الدَّمْـ ـعِ عَلَى خَدِّها بَقايا سُطُورِ

[1] المصدر السابق، ص168-169.
[2] الوأواء: **ديوانه**، ص109.
[3] المصدر السابق، ص111.

وَكَثيراً ما يَلجَأُ الوأواءُ في وَصفِهِ لِلدُّموعِ إلى رَسْمِ الصُّورِ التي تَعتَمِدُ عَلَى عُنصُرِ المُبالَغَةِ وَالتَّهويلِ؛ إبرازاً لِغَزارَةِ دُمُوعِهِ وَكَثرَتِهَا، وَمِن ذَلِكَ أَنَّهُ جَعَلَ دُمُوعَهُ بَحراً وَاسِعاً مُمتَلِئاً بالماء، وَجَعَلَ جَفنَ عَينَيهِ إنساناً حَاذِقاً لِلسِّباحَةِ التي لَولاها لَمَاتَ غَريقاً في ذَلِكَ البَحرِ، يقول:[1] **[المنسرح]**

إنْسانُ عَيْنٍ لَوْلا سِباحَتُهُ ... ماتَ غَرِيقاً بِبَحْرِ دَمْعَتِهِ

وَدُموعُ الوأواءِ غَزيرَةٌ مِدرارَةٌ إلى الدَّرَجَةِ التي يُمكِنُ لَهَا أَنْ تَملأَ نَهرَ النِّيلِ العَظيم، وَتَجعَلَهُ يَفيضُ بالماء، فَقَد وَصَفَ في بَعْضِ أَشعارِهِ هَذا النَّهرَ بِأَنَّهُ مُمتَلِئٌ بالماءِ، وَيُعَلِّلُ ذَلِكَ لا بِكَثرَةِ المَطَرِ المُنهمِرِ مِنَ السَّماءِ كَمَا يَتَبادَرُ إلى ذِهْنِ الإنسانِ لأوَّلِ وَهْلَةٍ، وَإنَّما بِكَثرَةِ الدُّمُوعِ التي تَنهَمِرُ مِن عَيْنَيْهِ، وَتَجَمُّعِها في ذَاكَ النَّهر، يقول:[2] **[مجزوء الرمل]**

مَا تَرى النِّيلَ عَلَيْهِ ... حَبَكاً مِثْلَ الدُّرُوعِ
إنَّمَا زَادَ لأنِّي ... فِيهِ أَجْرَيْتُ دُمُوعي

وَيَستَذكِرُ الوأواءُ مَعشُوقَهُ في إحدى اللَّيالِي المُظلِمَةِ الشَّديدَةِ السَّواد، فَيَبدَأُ بالبُكَاءِ شَوقاً وَحَنيناً، وَيَذرِفُ دَمعاً مِدراراً فِضِّيَّ اللَّونِ حَتَّى كَادَ اللَّيلُ الأَسودُ، لِكَثرَةِ دُمُوعِهِ وَلَمَعَانِهَا، يَتَحَوَّلُ إلى نَهارٍ مُشرِقٍ، وفي ذَلِكَ يقول:[3] **[الطويل]**

رَعَى اللهُ لَيْلاً ضَلَّ عَنْهُ صَبَاحُهُ ... وَطَيفُكَ فيهِ لا يُفَارِقُ مَضْجَعِي
وَمَا زِلْتُ أَبْكي في دُجَاهُ صَبَابَةً ... مِنَ الْوَجْدِ حَتى ابْيَضَّ مِنْ فَيْضِ أَدْمُعِي

وَفِي مُبَالَغَةٍ جَدِيدَةٍ، استَعمَلَ الوأواءُ فِي صِياغَتِهَا أُسلوبَ الشَّرط، وَاختارَ مِنْ أَدَواتِهِ مَا يُفيدُ امتِنَاعَ الجَوابِ لامتِنَاعِ الشَّرط أَلا وَهُوَ الحَرْف "لو"، قَالَ لَوْ أَنَّ العُشْبَ وَالنَّباتَ يَنبُتُ في خَدِّ الإنسانِ، وَيُسقى بِمَاءِ الدَّمْعِ لَتَكَوَّنَتْ في خَدَّيهِ، أَي الوأواء، لِغَزَارَةِ دُمُوعِهِ مَزارِعُ مِنَ النَّباتَاتِ وَالأَزهَارِ المُتَعَدِّدَةِ الأَلوانِ وَالأَشكال، يقول:[4] **[مُخلّع البسيط]**

كَمْ زَفَراتٍ وَكَم دُمُوع ... هذا لَعَمْري هُوَ القُطُوعُ
لَوْ أَعْشَبَ الْخَدُّ مِنْ دُمُوع ... لَكانَ في خَدِّي الرَّبِيعُ

---

[1] المصدر السابق، ص64.

[2] الوأواء: **ديوانه**، ص274.

[3] المصدر السابق، ص141-142.

[4] المصدر السابق، ص138.

وَفِي مَقطُوعَةٍ أُخرى تَحَدَّثَ عَنْ وِصَالِ المَحبُوبَةِ لَهُ بَعْدَ فَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ مِنَ القَطِيعَةِ وَالفِراق، فَحِينَمَا عَلِمَ بِقُدُومِهَا بَكَى بُكَاءً شَدِيداً، وَذَرَفَ دَمعاً غَزِيراً، وَقَدْ صَوَّرَ تِلكَ الدُّموعَ حَيْثُ جَعَلَ عَينَيهِ مَصدَرَ الدَّمْعِ نَبْعَ مَاءٍ لا تَنضبُ مِياهُهُ وَلا تَنتَهِي، وَلِمُضاعَفَةِ المُبالَغَةِ التي يَسعَى إلى إظهارِهَا، يَقولُ إنَّهُ إذا مَا نُصِبَتْ رَحَىً بِجَانِبِ عَينَيهِ، وَصُرِّفَتْ دُمُوعُهُ إليهَا، لَدَارَتْ تِلكَ الرَّحَى عَلى الرَّغمِ مِن ثِقَلِ وَزنِهَا، يقول:[1] **[الوافر]**

أَتـانـي زائِـراً مَـنْ كـانَ يُـبـدي ... لِيَ الـهَـجْـرَ الـطـويـلَ وَلا يَـزورُ
فَـقـالَ الـنَّـاسُ لَمَّـا أَبصـرُوهُ: ... لِـيُـهِـنـكَ زارَكَ الْـبَـدْرُ المُـنـيـرُ
فـقـلـتُ لَـهُـمْ، وَدَمْـعُ الـعَـيْنِ يـجـري ... عَـلَـى خَـدِّي لَـهُ دُرٌّ نَـثـيـرُ:
مـتى أَرْعى رِيـاضَ الـحُسْـنِ مِـنْـهُ ... وَعَـيْـني قَـدْ تَضَـمَّـنَـهَـا غَـديـرُ!
وَلَـو نَصَـبُـوا رَحى بِـإزاءِ دَمـعـي ... لَـكـانَـتْ مِـنْ تَـحَـدُّرِهِ تَـدورُ!

وَلِكَثْرَةِ بُكاءِ الوأواءِ عِنْدَ رُؤيَةِ المَعشُـوقَة، فَإِنَّهُ لا يَسـتَطِيعُ إغماضَ عَينَيهِ؛ لأَنَّ جُفُونَهُ تَتَقَلَّصُ وَيَصْغُرُ حَجْمُهَا، بِسَبَبِ مَا لَقِيَتهُ مِنْ تَعَبٍ وَإجهاد، يقولُ في هذا المعنى:[2] **[مجزوء الكامل]**

فَـدَمَـوعَ عَـيْـنـي إِذْ رَأَتْـ ... ـهُ تَـجُـودُ بِـالـدَّمْـعِ المَصُـونِ
مَـا تَـطْـعَـمُ الإِغْـمَـاضَ مِـنْ ... قِصَـرِ الـجُـفُـونِ عَـنِ الـجُـفُـونِ

يُستَخلَصُ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ الوأواءَ شاعِرٌ مُرهَفٌ حَسَّاس، وَعَاشِقٌ مُتَيَّمٌ بَكَى عَلَى فِراقِ مَنْ يَعشَق، وَعَلَى صُدُودِهِ وَهِجرانِه، فَذَرَفَ دَمْعاً غَزِيراً، فَوَصَفَهُ، وَاعتَمَدَ فِي وَصْفِهِ لَهُ، في مُعظَمِ الأَحيانِ، عَلَى الصُّـورَةِ اللَّونيَّةِ التي اسـتَمَدَّهَا مِنَ بَعضِ الحِجَارَةِ الكَرِيمَةِ وَالمَعَادِنِ الثَّمينَةِ كَاللُّؤلُؤ، وَالدُّرِّ، وَالياقوتِ، وَالذَّهَبِ، وَالفِضَّـة، وَمِن بَعْضِ أَدَواتِ الزِّينَةِ كَالكُحلِ، وَالكافور، وَفَضْـلاً عَنْ ذَلِكَ فَقَد اعتَمَدَ في تَصويرِهَا عَلَى عُنصُرِ المُبَالَغَةِ وَالتَّهويلِ اعتِمَاداً كَبيراً؛ رَغبَةً في إظهارِ كَثْرَتِهَا وَغَزَارَتِهَا.

ج: تَصويرُ طُولِ لَيلِهِ، وَمَا يُصِيبُهُ فِيهِ مِن أَرَقٍ وَقَلَقٍ وَسُهاد:

من الوسائل التي استعملها الشاعر الوأواء للتَّعبيرِ عَن الأَلَمِ والمُكابَدَةِ والشَّـوقِ الـذي يُعانِيـهِ، وَيَكتَوِي بِنَارِهِ نَـتيـجَةَ فِـراقِ مَحبُوبَتِهِ وَصُدُودِهَا وَهِجرَانِهَا، وَصفُ اللَّيلِ، والتَّركيزُ عَلى إبرازِ طُولِ

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص110-111.

[2] المصدر السابق، ص234.

سَاعَاتِهِ وَامتِدَادِهَا تَركِيزاً كَبِيراً، حَتَّى يَظهَرَ وَكَأَنَّهُ لَيسَ لَهُ نِهَاية، وَيَتَّضِحُ ذَلِكَ مِن قَولِهِ:[1]

[البسيط]

أَمَا لِتَطْوِيلِ هذا اللَّيْلِ تقصيرُ ... مِنْ شَفَّهُ الشَّوْقُ في شكواهُ مَعذورُ

بانَ الحَبيبُ فَإلمامي بِهِ لَمَمٌ ... بعدَ البِعادِ وزَوْراتي لَهُ زُورُ

وعبَّر عَنْ هذِهِ الفكرةِ في العديدِ مِنَ الصُّوَرِ الدَّالّة، وَقَد لَجَأَ إلى الغُلُوّ؛ لِيُظهِرَ المُعاناةَ والمُكابَدَةَ والحُزنَ الذي يُعانِيهِ، وَمِنْ ذلكَ أنَّهُ جَعَلَ اللَّيلَ –لِشدَّة طولِ ساعاتِهِ وامتدادِهَا- شيئاً ضائِعاً ضالّاً لا يتمكَّنُ صاحِبُهُ، أيْ الصَّباح، مِنَ العُثورِ عَلَيهِ، ثُمَّ يُصَوِّرُ بُكَاءَهُ عَلى المَحبُوبَة، فَهُوَ لِكَثرَةِ الدُّموعِ التي انحَدَرَتْ مِنْ عَينَيهِ، تحوَّلَ ظَلامُ اللَّيلِ الأَسود إلى بَياضٍ ناصِعٍ، وَفي هذا ما يكشِفُ عَنْ نفسِيَّةِ الوأواءِ المُدمَّرة، وحالَةِ الشَّوقِ والحنينِ والأَرَق ِالتي كانَ يعيشُهَا عِندَ نَظْمِ هذِهِ الأَبيات، يَقُول:[2]

[الطويل]

رَعى اللّهُ لَيْلاً ضَلَّ عَنْهُ صَبَاحُهُ ... وَطَيْفُكَ فيهِ لا يُفَارِقُ مَضْجَعِي

وَلَمْ أَرَ مِثْلي غارَ مِنْ طُولِ لَيْلِهِ ... عَلَيْهِ كأَنَّ اللَّيْلَ يَعْشَقُهُ مَعِي

وَما زِلْتُ أَبْكي في دُجَاهُ صَبَابَةً ... مِنَ الوَجْدِ حَتى ابيَضَّ مِنْ فَيْضِ أَدْمُعي

ويلجأُ الوأواءُ إلى تكرارِ شَيءٍ مِنَ الصُّورَةِ السَّابِقَةِ، وَمِن ذَلِكَ قولُهُ:[3] **[الكامل]**

فلربَّ لَيْلٍ ضَلَّ عنهُ صَباحُهُ ... فَكأَنَّه بِك خطرةُ المتفكِّرِ

وفي مَوضِعٍ آخرَ، شَبَّهَ ليلَهُ بِلَيلِ النِّساءِ الَّلواتي يَندُبنَ أَبناءَهنَّ بعدَ فَقدِهِم، بِجامِعِ الطُّولِ وشِدَّةِ المُعاناةِ، حَيثُ لا يَعرِفُ الإنسانُ فيهِ شرقَهُ مِن غَربِهِ ولا شماله مِنْ جَنوبِهِ، يقول:[4]

[الطويل]

وليلٍ كلَيْلِ الثَّاكِلاتِ لَبِستُهُ ... مشارقُهُ لا تَهْتَدي للمغاربِ

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص112.

[2] المصدر السابق، ص141-142.

[3] المصدر السابق، ص108.

[4] المصدر السابق، ص18.

وفي صورةٍ جديدةٍ مُعبّرةٍ دالّة على طولِ لَيلِهِ، يُصوّرُهُ بغرابٍ أسودَ لَفَّ الأَرضَ بجناحَيْهِ واحتَضَنَها، فَأَصْبَحَت سوداءَ مُظلِمَةً، لا يُرى فيها النُّور، وَبِهذا أَيقَنَ أَنَّ الصَّباحَ لَن يَنبَلِجَ، وأَنَّ اللَّيلَ لَنْ ينتهي، يقول:[1] **[مُخلَّع البسيط]**

أَطالَ لَيلَ الصُّدودِ حَتّى ... يَئِسْتُ مِنْ غُرَّةِ الصَّباحِ
كَأَنَّهُ إذا دَجا غُدافٌ ... قَدْ حَضَنَ الأَرْضَ بالجَناحِ[2]

ويبالِغُ في تصويرِ ليلِهِ الطَّويلِ المُمتَدّ، فَيَشعُرُ بأَنَّهُ لا حدودَ لَهُ ولا نهاية، وَقَد عَبَّرَ عن ذلكَ في قَولِهِ:[3] **[الطويل]**

وليلٍ كَفِكْري في صُدودِ مُعَذِّبي ... وإلا كأَنْفاسي عليهِ مِنَ الْوَجْدِ
وإلا كَعُمْرِ الْهجرِ مِنْهُ فَإِنَّهُ ... إذا قِسْتَهُ بالْوَصْفِ كانَ بِلا حَدِّ

واللَّيل عندَهُ يُشبِهُ نَفَسَ العاشِقِ في طولِهِ، بَلْ هُوَ أَطوَلُ منهُ، يقول:[4] **[الخفيف]**

رُبَّ لَيْلٍ أَمَدُّ مِنْ نَفَسِ الْعَا ... شِقِ طُولاً قَطَعْتُهُ بِانْتِحابِ

وصوَّر الوأواءُ لَحَظاتِ اللَّيلِ المُمتَدِّ، المُتَجدِّدة كواكِبُهُ ونومُهُ بلحظاتِ انفصالِ العاشِقِين، وساعاتِ فراقِهِم، وَكَأَنَّ الوقتَ –آنذاك- لا ينقضي، يقول:[5] **[الوافر]**

وَلَيْلٍ مِثْلِ يَوْمِ الْبَيْنِ طُولاً ... كَواكِبُهُ إذا أَفَلَتْ تَعُودُ
يُدافِعُ نَوْمَها فِيهِ انْتِباهٌ ... فَأَعْيُنُها مُفَتَّحَةٌ رُقُودُ

ويُكَرِّر هذهِ الصُّورَةَ في قولِهِ:[6] **[الوافر]**

وليلٍ مثلِ يومِ البَيْنِ طُولاً ... كأنَّ ظَلامَهُ لَوْنُ الصُّدودِ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص69.

[2] الغُداف: هو الغُراب، وخَصَّ بعضهم به غُراب القيظ الضَّخم الوافِرِ الجناحَين، والجمع غُدْفان. ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (غدف).

[3] الوأواء: **ديوانه**، ص87.

[4] المصدر السابق، ص262.

[5] المصدر السابق، ص76.

[6] المصدر السابق، ص86.

ولم يَنسَ أن يُشيرَ إلى ما يُصيبُهُ مِن أَرَقٍ وَسُهادٍ نتيجةَ هجران المحبوبِ وَبَينِهِ، ومن ذلِكَ قولُهُ:[1]

[السريع]

لَا تُكْثِروا عَذْلاً وَلا لَوْما ... لَمْ يُبْقِ حَرُّ الهَجْرِ لي نَوْمَا
وَيْلِي عَلَى هِجْرانِ مَنْ هَجْرُهُ ... قَدْ سَامَنِي وِرْدَ الرَّدى سَوْمَا
أَنْكَرَني حَتَّى كأنْ لَمْ يَكُنْ ... يَعْرِفُني مِنْ دَهْرِهِ يَوْمَا

وَفِي فِكْرِ الشَّاعِرِ أنَّ هنالكَ وسيلتين لتسليةَ النَّفْسِ، وتقصيرِ ذاكَ اللَّيلِ الطَّويلِ، أَمَّا أولاهُما، فَهِيَ شُربُ الخَمرِ وَمُعاقَرَتُها، يقول:[2] **[الطويل]**

وليلٍ تَمَادى طولُه فَقَصَرْتُه ... بِرَاحٍ تُعيرُ الْماءَ مِنْ صفوِها صفا

وأمَّا ثانيَتُهُما، فَهِيَ لقاءُ مَنْ يعشق، حيثُ يُصْبِحُ اللَّيلُ –آنذاك- قصيراً جداً، يَمرُّ في لَحَظاتٍ قليلةٍ، كَتِلكَ التي تَسْتَغرِقُها خَفْقَةٌ مِنْ خَفَقاتِ القَلْبِ، أَوْ قبلَة عاشِقٍ يأخُذُها مِنْ مَحبوبَتِهِ على عَجَلٍ وَحَذَر، أَو تحتاجُها رَمشةُ عَيْنٍ، يقول:[3] **[الطويل]**

وليلٍ طويلٍ كان لَمَّا قَرَنْتُهُ ... برؤية مَن أَهوى قصيرَ الجوانبِ

د: الإقرارُ بالذُّلِّ وَالهَوان، وَالعُبُودِيَّةِ لِلمَحبُوبَة:

صَرَّحَ الوأواءُ بالذُّلِّ وَالهَوانِ الذي أَصابَهُ مِنَ الحُبِّ، وَبالعُبُودِيَّةِ لِلمَحبُوبَةِ التي قَابَلَتهُ بالصُّدُودِ وَالهجرانِ وَالبَينِ وَالإعراض، وَذَلِكَ نَتيجَةَ السَّعي وَرَاءَها؛ رَغبَةً فِي إرضَائِهَا وَالحُصُولِ عَلَى عَطفِهَا وَوِصَالِهَا، وَقَد صَوَّرَ شَيئاً مِن ذَلِكَ فِي قولِهِ:[4] **[الطويل]**

أَلَم ترَ أَنّي بِعْتُ عِزّي بِذِلَّةٍ ... وَطاوَعْتُ ما تهوى لِطَوْعِكَ ما تَشا

وَهُوَ رَاضٍ بِذُلِّهِ فِي الحُبِّ وَمُسَلِّمٌ بِهِ، وَيَتَّضِحُ ذَلِكَ مِن قَولِهِ:[5] **[مجزوء الرمل]**

أَنْتَ بِالْعِزَّةِ ماضِ ... وَأَنا بِالذُّلِّ رَاضِ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص213.
[2] المصدر السابق، ص10.
[3] المصدر السابق، ص26.
[4] المصدر السابق، ص9.
[5] الوأواء: **ديوانه**، ص137.

هَـلْ سَـمِـعْـتُـمْ بِـغَـزَالٍ صـادَ لَـيْـثـاً في غِـيَـاضِ ؟!
بِـأَبِـي رِيـمٌ رَمـى قَـلْـ ـبِـي بِـأَحْـداقٍ مِـرَاضِ

وَبِفِعلِ خِبرَتِهِ الطَّويلَةِ فِي العِشـقِ وَالهِيَام، يُقَدِّمُ نَصِـيحَةً لِلعَاشِـقِينَ جَميعِهِم فيُوصِـيهِم فِيهَا بِضَرُورَةِ الخُضُوعِ وَالتَّذلُّلِ لِلمَحبُوبِ الَّذي يَعِزُّ وِصالُهُ، فَرُبَّما يَحِنُّ عَلَى العَاشِقِ وَيَجُودُ عَلَيهِ بِشَيءٍ مِنَ الوِصَالِ وَالِّلقاء، يقول:[1] **[البسيط]**

اخْضَـعْ إذا عَـزَّ مَـنْ تَـهْـوَى وَذِلَّ لَـهُ فَـوِدُّ أَهْـلِ الهَوى أَبْقى إذا خَضَـعُوا

وَجَعَلَ نَفْسَهُ عَبدَاً طَائِعَاً لِمَن يَعشَق، لا يُرِيدُ مِنهُ سِوى الرِّضى، كَمَا أَنَّه جَعَلَ مَحبُوبَهُ سَيِّداً لَهُ يُلقِي عَلَيهِ الأَوامِر، وَقَد رَكَّزَ عَلَى هَذَا المَعنى وَكَرَّرَهُ فِي كَثِيرٍ مِن أَشعَارِهِ، وَمِنهَا قَولُهُ مُحاوِلاً استِعطَافَ مَعشُوقِهِ وَاسترضاءَهُ وَاستِثَارَةَ حَفِيظَتِهِ مِن أَجلِ أَنْ يَحصُلَ عَلَى قُربِهِ وَوِصالِهِ:[2]

[مجزوء الكامل]

يـا سَـيِّـدِي كَـمْ ذا الْـبِـعَـا دُ أَمَـا لَـهُ يَـوْمَـاً دُنُـوُّ !
أَغْـرَيْـتَ قَـلْـبِـي بِـالْـغَـرا مِ فَـمـا لَـهُ مِـنْـهُ سُـلُـوُّ
أَهْـبَـطْـتَ قَـلْـبِـي بَـعْـدَ مـا أَعْـلـى مَـرَاتِـبَـهُ الـعُـلُـوُّ
فَـرَأى صَـدِيـقـي شَـيْـنَـهُ وَرَأى مَسَـرَّتَـهُ الْـعَـدُوُّ

وَهَا هُوَ ذَا يَسـتَحلِفُ المَحبُوبَةَ وَيَطلُبُ مَنهَا بِنَوعٍ مِنَ التَّرَجِّي أَلا تُخَاطِبَهُ بِعِبَارةِ (سَـيِّدي) عِندَ الحَدِيثِ مَعَهُ، لأَنَّ السَّادَةَ لا يُخاطِبُونَ عَبِيدَهُم بِمِثلِ هَذَا القَول، يقول:[3] **[الكامل]**

إِنِّي سَـأَلـتُـكَ بـالـنَّـبِـيِّ ((مـحـمـدِ)) ووصِـيَّـةِ الـهـادِي الأَمـينِ المهـتـدي
وَبِـحُـبِّ مَـنْ أَغـرى فـؤادَكَ حُـبُّـهُ بِصَـبـابَـةٍ مـمـزوجَـةٍ بـتـجـلُّـدِ
وبسـحـرِ منـطـقِـكَ الَّـذي سُـلْـطـانُـهُ حُـكـمٌ يَـجـورُ عَـلَى الـقُـلـوبِ وَيَـعْـتَـدي
هَـلا هـجـرتَ بـفـيـكَ قـولَـكَ: سَـيِّـدي مَـوْلـيَ يـقـولُ لـعـبـدِهِ: يـا سَـيِّـدي!

[1] المصدر السابق، ص139.
[2] المصدر السابق، ص247.
[3] المصدر السابق، ص89.

وَيُصَـرّحُ الوأواءُ بِأَنَّهُ عَبْدٌ طَائِعٌ لِمَن يُحِبّ، فَهُوَ يَفْعَلُ كُلَّ مَا يَريدُهُ مِنهُ، إِلى دَرَجَةِ أَنَّه يَمُوتَ عَلَى الفَورِ وَدُونَ تَرَدُّدٍ أَو تَفْكِيرٍ إِذَا مَا طَلَبَ مِنهُ ذَلِك، يقول:[1] **[مجزوء الكامل]**

بِـاللهِ يـا سَـــطَـواتِ هَـجْـرِهْ ... لا تَـعْـجَـلـي بِـحُـلُـولِ ضُـــرّهْ
لَـــوْ قـــالَ لـي: مُـــتْ طَـاعَـــةً ... مَـا عِشْـــتُ بَـعْـدَ سَـــمـاعِ أَمْـرِهْ

وَيَقُول:[2] **[مجزوء الكامل]**

لَـــوْ قـــالَ لـي: مُـــتْ طـاعَـــةً ... لأَطَـعْـتُـــهُ وَقَـــبِـــلْـــتُ أَمْـــرَهْ

وَالوأواءُ يَفْتَخِرُ كُلَّ الافتِخَارِ بِعُبُودِيَّتِهِ لِلمَعشُوقَة، إِذْ صَرّحَ بِأَنَّهُ يَكفِيهِ شَرَفاً وَعِزّاً وَنُبلاً أَنْ يكونَ عَبداً لَهَا يَأْتَمِرُ بِأَمْرِهَا، يَقُول:[3] **[الخفيف]**

سَـــيِّـدي أَنْـتَ لَـمْ أَقُـلْ سَـــيِّـدي أَنْـ ... ـــــتَ لأنّـي عَـدَدْتُ نَـفْـسِـيَ أَهْـلَا
أَنـا حُـرٌّ وَالـحُـرُّ يَشْـــهَـدُ أَنِّـي ... لَـكَ عَـبْـدٌ فَـاكْـتُـبْ بِـذاكَ سِـــجِـلَّا
شَـــرَفي إِنْ رَضِـــيـتَ بي لَـكَ مَـمْـلُـو ... كـاً وَحَسْـــبِـي بِـذَاكَ عِـزّاً وَنُـبْـلا

هـ: تَمَنّي المَوت وَطَلَبُهُ:

كانَ الوأواءُ مُتَعَلِّقاً بالمَرأَةِ المَحبُوبَةِ تَعَلُّقاً شَديداً، وَلا يَستَطِيعُ العَيْشَ بَعيداً عَنْهَا، فَإِذَا مَا فَارَقَتْهُ وَبَانَتْ عَنْهُ أَصَابَهُ اليأسُ مِنَ الحَياة، وَحُطِّمَتْ نَفْسُهُ وَدُمِّرَتْ مَشَاعِرُهُ، وَأَصبَحَ يَتَمَنَّى المَوتَ وَيَطلُبُه؛ لأَنَّهُ فِيهِ يَحْصُـلُ عَلَى الرَّاحَةِ مِنَ العَذَابِ الذي يُعَانِي مِنْهُ، وَلَقَد عَبَّرَ عَن هَذِهِ الفِكرَةِ فِي كَثيرٍ مِن أَشعَارِهِ، وَمِنهَا قَولُهُ فِي إِحدَى مَقطُوعَاتِهِ الغَزَلِيَّةِ بَعْدَ ذِكْرِ مُعَانَاتِهِ وَأَلَمِه:[4] **[المنسرح]**

مَـنْ كَـانَ مِـثْـلِـي فَـالْمَـوْتُ راحَـتُـهُ ... وَالمَـــوْتُ وَاللهِ دُونَ مَـــا أَجِـــدُ

وَقَولُهُ:[5] **[البسيط]**

شَـــغَـلْـتُ قـلبي وسَـــمْـعي في مـودَّتِكُمْ ... لا خَـلَّـصَ اللهُ قـلبي مِـنْ مَـحَـبَّـتِـكُـمْ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص117.
[2] المصدر السابق، ص118.
[3] المصدر السابق، ص182.
[4] المصدر السابق، ص76.
[5] الوأواء: **ديوانه**، ص66.

ولا رُزِقْتُ حياةً بَعْدَ بَيْنِكُمُ إِنْ لَمْ أَمُتْ نَدَماً مِنْ بَعْدِ فُرْقَتِكُمْ
هَا قَدْ غَضِبْتُ عَلَى رُوحي لأَجْلِكُمُ حتى جَفَوْتُ حياتي عِنْدَ جَفْوَتِكُمْ

وَفِي مَقطُوعَةٍ أُخرى يُعرِبُ عَنْ خَجَلِهِ وَحَيائِهِ مِنْ بَقَائِهِ عَلَى قَيْدِ الحَياةِ بَعْدَ بَيْنِ المَحبُوبَةِ وَفِراقِهَا، ثُمَّ يَرَى أَنَّ طَلَبَهُ المَوتَ لَيْسَ غَرِيباً، وَإِنَّمَا الغريبُ العَجيبُ هُوَ بَقَاؤُهُ حَيًّا، يقُول:[1]

[البسيط]

وَاخَجْلتي مِن بقائي بعدَ فُرْقَتِكُمُ إذ ليس لي في حياتي بَعدكم أَربُ
وليس موتي عجيباً بَعْدَ بينِكُمُ وإِنَّما في حياتي بَعدكم عَجَبُ

وَهَا هُوَ ذَا يُعَاتِبُ المَنِيَّةَ التي لَمْ تَقْبِضْ رُوحَهُ بَعْدَ رَحِيلِ المَحبُوبَةِ وَفِرَاقِهَا، فِي قَولِهِ:[2]

[البسيط]

هُوَ الْفِراقُ فَعِشْ إِنْ شِئْتَ أَوْ فَمُتِ لَيْسَ الحَياةُ إذا بانُوا بِمُعْجِبَتي
وَيْحَ الْمَنِيَّةِ إِذْ سارَتْ رَكَائِبُهُمْ لَوْ أَنَّها قَبَضَتْ رُوحي لأَحْسَنَتِ

وَإِذَا كَانَ الحَالُ كَذَلِكَ فَلَيسَ مِنَ المُستَغْرَبِ أَنْ يُقَدِّمَ الشَّاعِرُ رُوحَهُ هَدِيَّةً رَخِيصَةً لِلمَحبُوبَةِ، فَكُلُّ مَا يَهُمُّهُ هُوَ بَقَاؤُهَا فِي نَعِيمٍ وَسَلامٍ وَخَيرٍ حَتَّى لَوْ كَانَ ذَلِكَ عَلَى حِسَابِ حَيَاتِهِ، وَهَذا يُمَثِّلُ غَايَةَ العَفَافِ وَالإِخلاصِ فِي الحُبّ، يقول:[3] **[الكامل]**

لا تُنْكِرِي ما بي فَلَيْسَ بِمُنْكَرِ عِنْدَ التَّفَرُّقِ حَيْرَةُ المُتَحَيِّرِ
هَا هَذِهِ رُوحي إِلَيْكِ هَدِيَّةً فتجمَّلي في أَخذها أَوْ فاعْذِرِي

يَتَّضِحُ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ الوأواءَ صَوَّرَ فِي غَزَلِيَّاتِهِ المَعنَوِيَّة الطَّاهِرَةِ العَفِيفَةِ، المُعَانَاةَ وَالأَلَمَ وَالحُزْنَ الذي يَشْعُرُ بِهِ مِنَ الحُبّ، وَمِنْ صُدُودِ المَحبُوبَةِ وَهجرانِهَا وَفِراقِهَا لَهُ، وَقَدِ استَعمَلَ لإبرازِ ذَلِكَ العَدِيدَ مِنَ الوَسائِلِ والأَسالِيبِ الدَّالَّةِ المُعَبِّرَةِ، وَهُوَ بِهَذَا مُلتَزِمٌ بِمَا أَوْصَى بِهِ كِبَارُ الشُّعَرَاءِ وَالنُّقَّادِ تَلاميذَهُم وَحَثُّوهُمْ عَلَيْهِ، فَهَا هُوَ ذَا أَبو تَمام يُوصِي تِلميذَهُ البُحتُرِيَّ بِذَلِكَ، فِي قُولِهِ: "إن أردتَ التشبيب فاجعل اللفظ رشيقاً، والمعنى رقيقاً، وأكْثِر فيه من بيان الصَّبَابة، وتوجُّع الكآبة، وقلق

[1] المصدر السابق، ص34.
[2] المصدر السابق، ص60.
[3] المصدر السابق، ص107.

الأشـــواق، ولَوْعَة الفراق"[1]، وَفِي مِثْلِ هَذَا المَعنى قَالَ قُدَامَةُ بنُ جَعفَر: "يجب أن يكون النســيب الذي يتم به الغرض هو ما كثرت فيه الأدلة على التهالك في الصبابة، وتظاهرت فيه الشواهد على إفراط الوجد واللوعة، وما كان فيه من التصابي والرقة أكثر مما يكون من الخشن والجلادة، ومن الخشــوع والذلة أكثر مما يكون فيه من الإباء والعز، وأن يكون جماع الأمر فيه ما ضــاد التحافظ والعزيمة، ووافق الانحلال والرخاوة، فإذا كان النسيب كذلك فهو المصاب به الغرض"[2].

وَأَكَّدَ ذَلِكَ أَبو هِلال العَسْكَرِيّ فِي قَولِهِ: "وينبغي أن يكون التشبيب ... دالاً على شدة الصبابة، وإفراط الوجد، والتهالك في الصــبوة ... ويكون بريأً من دلائل الخشــونة والجلادة، وإمارات الإباء والعزة ... ويُستجاد التشبيب أيضاً إذا تضمَّن ذكر التشوق والتذكر لمعاهد الأحبة بهبوب الرياح، ولمع البروق، وما يجري مجراهما من ذكر الديار والآثار ... وكذا ينبغي أن يكون التشــبيب دالاً على الحنين والتحسّر وشدة الأسف"[3]

ثانِيَاً: الَّلومُ وَالعَذلُ:

يُشَكِّلُ لَوْمُ الَّلائِمِينَ وَعَذلُ العَاذِلِينَ مَظهَرَاً مِنْ مَظَاهِرِ غَزَلِ الوأواء، حَيْثُ يُشِيرُ فِي بَعضِ غَزَلِيَّاتِهِ إِلى الَّلومِ وَالعَذلِ الشَّــدِيدِ الَّذي يَتَعَرَّضُ لَهُ فِي عِشْــقِهِ؛ وَذَلِكَ نَتِيجَةً لِمَا أَصَــابَهُ مِن سَــقَمٍ وَهُزَالٍ وَضَــعْفٍ وَبَلاء، لَكِنَّهُ يَقِفُ مَوقِفَاً سَــلبِيَّاً مُعادِياً مِمَّن يَلُومُونَه، وَيُصَــرِّحُ بِأَنَّهُ لَمْ وَلَنْ يَســتَمِعَ لِنَصَائِحِهِم وَإِرشَادَاتِهِم، يَقُول:[4] **[الوافر]**

بَــلِــيــتُ لأَنِّــنِي بِــكَ قَــدْ بُــلِــيــتُ ... فَــلَسْــتُ بِــمُــنْــتَــهٍ مِــمَّــا نُــهِــيــتُ

أُلامُ وقَــدْ أَصَــمَّ الــحُــبُّ سَــمْــعِي ... وَيُــرْشِــدُنِي الْــعَــذُولُ وَقَــدْ عَــمِــيــتُ

[1] الحُصري، أبو إسحاق إبراهيم بن علي القيرواني: **زهر الآداب وثمر الألباب**، تفصيل وضبط وشرح زكي مبارك، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط4، بيروت: دار الجيل، 1972، 152/1.

[2] ابن جعفر، أبو الفرج قدامة: **نقد الشعر**، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت)، ص134.

[3] العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل: **الصناعتين (الكتابة والشعر)**، تح: مفيد قميحة، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1981، 145ص-146.

[4] الوأواء: **ديوانه**، ص62.

وَرَسَمَ الوأواءُ صُورَةً قَاتِمَةً مُنَفِّرَةً لِمَن يَلُومُهُ فِي حُبِّهِ، إِذْ جَعَلَهُ رَسُولاً لِإبليس، حَيثُ يَدعُوهُ إِلى مُمَارَسَةِ الأُمُورِ المُحَرَّمَةِ، وَجَعَلَهُ كَمَن يُمارِسُ فِعلاً شَاذّاً شَنِيعاً قَبِيحاً مُخالِفاً لِلدِّينِ، عَلَى اعتِبارِ أَنَّ عِشْقَهُ لِلغِلمانِ شَريفٌ نَبِيلٌ مُوافِقٌ لِلفِطرَةِ الإنسانِيَّة !!!، يقول:[1] **[الخفيف]**

أَكْثَرْتَ لَوْمِي بِغَيْرِ تَنْفِيسِ ... مَا أَنْتَ إِلا رَسُولُ إِبْلِيسِ
جَفْنِي مِنَ الدَّمْعِ مُوْسِرٌ ومِنَ السَّلْ ... ـوَةِ قَلْبِي مِنَ الْمَفالِيسِ
مَنْ لامَني في الْحَبيبِ كانَ كَمَنْ ... يَضْرِبُ في مَسْجِدٍ بِناقُوسِ

وَرَاحَ الشَّاعِرُ يُدافِعُ عَنْ حُبِّهِ، وَيُبَرّرُ عِشْقَهُ، لِلرَّدِّ عَلَى أُولئِكَ العَاذِلِينَ وَإِسكاتِهِم، وَقَدِ اعتَمَدَ فِي ذَلِكَ عَلَى مُبَرِّرٍ وَاحِدٍ، أَلا وَهُوَ حُسنُ مَحْبُوبِتِهِ وَجَمالُهَا السَّاحِرُ الفَتَّان، يقول:[2] **[المديد]**

والهَوى لا خِفْتُ عاذِلَتي ... في هَوى مَنْ جَلَّ عن صِفَتي
مَنْ لَحَاني عَنْ هَوَاهُ فَفِي ... وَجْهِهِ الفَتَّانِ مَعْذِرَتي

وَيَقُول:[3] **[أحذّ الكامل]**

نَطَقَ الْجَمالُ بِعُذْرِ عَاشِقِها ... لِلْعاذِلِينَ فَأُخْرِسَ الْعَذْلُ

وَلِيُقنِعَ العُذَّالَ الَّذينَ يُحَاوِلُونَ مُحَاوَلاتٍ دَائِبَةً أَنْ يُوقِعُوا شَيئَاً مِنَ القَطِيعَةِ بَينَهُ وَبَينَ مَعشُوقَتِهِ، لِيُقنِعَهُم بِاستِحَالَةِ عُدُولِهِ عَنْهَا وَتَركِهَا، فَإِنَّهُ يُوَضِّحُ لَهُم بِأَنَّ العَذْلَ وَاللَّومَ الذي يَسمعه لا يَزِيدُهُ إِلا تَعَلُّقاً وَتَمَسُّكاً بِهَا، وَعِشقَاً لَهَا؛ لِذَا صَرَّحَ لَهُم بِحُبِّهِ وَمَيلِهِ إِلى الاستِمَاعِ إِلى عَذْلِهِم؛ كَيْ يَبقَى ذِكرُ مَحبُوبَتِهِ جَارِياً عَلَى مَسَامِعِهِ دَوماً، وَهَذا أَقصَى أَمَانِيه، يقول:[4] **[البسيط]**

لَوْ كانَ يَعْلَمُ عُذَّالي بِما صَنَعُوا ... لأَقْصَرُوا عَنْ مَلامي فيكَ وَارْتَدَعُوا
زَادُوكَ عِنْدِيَ، إِذْ عَابُوكَ، مَنْزِلَةً ... كَأَنَّهُمْ رَفَعُوا مِنْكَ الَّذي وَضَعُوا
فَمَنْ يَكُنْ فيهِ عَنْ عُذَّالِهِ صَمَمٌ ... فَإِنَّني فيكَ لِلْعُذَّالِ مُسْتَمِعُ
حُبّاً لِذِكْرِكَ أَنْ يَجْري عَلَى أُذُني ... فَلْيُقْصِروا عَنْ مَلامِي فِيكَ وَلْيَدَعُوا

[1] المصدر السابق، ص127.
[2] المصدر السابق، ص64.
[3] المصدر السابق، ص190.
[4] الوأواء: **ديوانه**، ص138.

ثَالِثَاً: الوُقُوفُ عَلى الأَطلال:

يُشَـكِّلُ الوقُوفُ عَلَى أَطلالِ المَحبُوبَةِ وَوَصـفُهَا أَحَدَ العَناصِـرِ المُهِمَّةِ في غَزَلِ الوأواء، فَهَا هُوَ ذَا يَـصِفُ مَا أَصَابَـهَا مِن بَـلاءٍ وَدَمَارٍ وَهَلاكٍ وَسُكونٍ وَانعِدَامٍ لِلحَرَكَةِ نَتيجَةً لِلارتِحَالِ عَنْهَا، وَذَلِكَ فِي قَولِهِ:[1] **[الكامل]**

لِمَنِ الرُّسُـومُ بِـــ ((رَامَتَيْنِ))[2] بَلِينا كُسِـيَتْ مَعَالِمُهَا الْهَوى وَعَرِينا
دِمَنٌ فُطِمْنَ مِنَ الصِّبى وَتَبَدَّلَتْ حَرَكاتُهُنَّ مِنَ الغَرامِ سُكُونا

وَيَصِفُهَا بِأَنَّهَا صَارَتْ مَكَانَاً خَالِيَاً مُقفِراً تَلعَبُ فِيهِ رِيَاحُ الشَّمالِ وَرِيَاحُ الجَنُوب:[3] **[الطويل]**

أَمَغْنى الهَوى غَالَتْكَ أَيدي النَّوائِبِ فَأَصْبَحْتَ مَغْنَىً لِلصِّبا وَالْجَنائِبِ

وَتَوَقَّفَ الوأواءُ فِي شِـعْرِهِ عِنْدَ اثنَيْنِ مِن مُكَوِّنَاتِ الأَطلالِ، وَهُمَا الأَثَافِي وَالنُّؤي، وَصَـوَّرَهُمَا مُستَعمِلاً تَشبيهَينِ مُستَمَدَّينِ مِنْ عِلْمِ الكِتَابَةِ وَالخَطّ، حَيثُ شَبَّهَ الأَثافِيَ بالنُّقَطِ الثَّلاثِ التي تُوضَعُ فَوْقَ حَرفِ الثَّاء، وَجَعَلَ النُّؤيَ مِثْلَ حَرفِ النُّونِ في استِدَارَتِهِ وَالتِفَافِهِ، يقول:[4] **[الطويل]**

أَثافٍ كَنَقْطِ الثَّاءِ في طِرْسِ دِمْنَةٍ ونُؤْيٍ كَدَوْرِ النُّونِ مِنْ خَطِّ كَاتِبِ

أَمَّا سَـبَبُ إِقبَالِهِ عَلَى الأَطلالِ وَالوُقُوفِ عَلَيهَا، فَهُوَ الشَّـوقُ وَالحَنينُ الذي يَمْلأُ قَلبَهُ لِلمَحبُوبَةِ، وَيَتَّضِحُ ذَلِكَ مِن قَولِهِ مُخاطِبَاً أَحَدَ الأَطلالِ:[5] **[الطويل]**

أَرَى الشَّـوقَ يُلْجِيني إِلَيْكِ كَمَا الْتَجا إِلى الرِّيِّ مِنْ ماءِ الْحَياةِ رُباكِ

وَيَشكُو الشَّاعِرُ لِلأَطلالِ هُمُومَهُ وَأَحزَانَهُ وَوَجْدَهُ فِي قَوْلِهِ:[6] **[الطويل]**

أَرَبْعَ الْبِلى إِنِّي إِلَيْكَ لَشَاكِ وَإِنِّي عَلَى وَجْدي عَلَيْكَ لَبَاكِ
وَمَا ذَاكَ مِنْ بُقْيا عَلَيْكَ وَإِنَّما لِعِشْقِ بُكائي فِيكَ حُبَّ هَلاكي

---

[1] المصدر السابق، ص214.

[2] رامتين: مفردها رامة، وهي منزل بينه وبين الرّمّادة ليلة في طريق البصرة إلى مكة، ومنه إلى إمّرة، وهي آخر بلاد بني تميم، وبين رامة والبصرة اثنتا عشرة مرحلة. الحموي، ياقوت: **معجم البلدان**، 20/3.

[3] الوأواء: **ديوانه**، ص16.

[4] الوأواء: **ديوانه**، ص17.

[5] المصدر السابق، ص171.

[6] المصدر السابق، ص171.

وَيَستَوقِفُ أَصحَابَهُ عَلَى تِلكَ الأَطلالِ؛ كَيْ يَذرِفُوا مَعَهُ الدُّمُوعَ الغِزَارَ عَلَى مَا أَصَابَهَا مِنْ تَغَيُّرٍ وَدَمَارٍ وَهَلاك، وَذَلِكَ فِي قَولِهِ:[1] **[الطويل]**

قِفُوا ما عليكم من وقوفِ الرَّكائِبِ لِنَبْذِلَ مَذخورَ الدُّموعِ السَّواكِبِ

وَهَا هُوَ ذَا يَدعُو لِتِلكَ الأَطلالِ بالسُّقيَا وَالخَيْر؛ كَي تُذَكِّرَهُ بالمَحبُوبَةِ دَوماً:[2] **[الطويل]**

سَقَى اللهُ آجالَ الهَوى فيكَ لِلْبَقا مُدامَ الأَماني من ثُغُورِ الْحَبائِبِ

وَيَدْعُو لَهَا بِدَوَامِ الإِشراقِ وَالبَهَاءِ وَالجَمَال، وَبِأَنْ تُبعَثَ فِيهَا الحَيَاةُ مِنْ جَديد:[3] **[الطويل]**

أَيَا دِمْنَةَ الَّلذَّاتِ لا زَالَ دائِماً عَلَيْكِ مِنَ الإِشْراقِ نُورُ بَهاكِ

وَيُلاحَظُ مِن استِعراضِ وُقُوفِ الشَّاعِرِ الوأواءِ عَلَى الأَطلالِ أَنَّهُ ذَكَرَ بَعْضَ عَنَاصِرِ الحَيَاةِ البَدَوِيَّةِ (النُّؤي وَالأَثَافي)، وَجَاءَ عَلَى ذِكْرِ بَعْضِ الأَمَاكِنِ مِن شِبْهِ الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّةِ (رامتين وَمُنعَرَج الّلوى)، وَيَبدُو أَنَّ هَذَا لَيْسَ إلا تَقْلِيداً كَانَ يُقَلِّدُ بِهِ الشُّعَرَاءَ السَّابِقِين؛ حَتَّى لا يَخْرُجَ عَنِ السَّمْتِ الذي التَزَمُوهُ، حَيْثُ أَشَارَ ابنُ رَشِيق القَيرَوَانِيُّ إلى أَنَّ بَعْضَ الشُّعَرَاءِ كَانُوا يَذْكُرُونَ فِي أَشعَارِهِم أَسمَاءَ الأَمَاكِنِ التي ذَكَرَهَا الشُّعَرَاءُ القُدَامَى اقتِدَاءً بِهِمْ وَاتِّباعاً لِمَا أَلِفَتْهُ طِبَاعُ النَّاس[4].

وَفِي خَاتِمَةِ استِعرَاضِ الغَزَلِ المَعنَوِيِّ فِي شِعْرِ الوأواءِ، تَجْدُرُ الإِشَارَةُ إلى أَنَّ عِفَّتَهُ تُتَوَّجُ مِن خِلالِ وَصْفِهِ لِمَوقِفِ وَدَاعٍ لِلمَحبُوبَةِ الرَّاحِلَةِ، حَيْثُ أَشَارَ إلى أَنَّهُ وَدَّعَهَا بالمُنَاجَاةِ مِن بَعِيد بِلُغَةِ العُيون، مِن خِلالِ استِرَاقِ النَّظَرَاتِ السَّرِيعَةِ إِلَيهَا، وَبالإِشَارَةِ لَهَا بِيَدِهِ مِنْ بَعِيد، وَقَدْ عَبَّرَ عَن هَذا المَعنَى فِي قَوْلِهِ:[5] **[البسيط]**

وَدَّعتُها وَلَهِيبُ الشَّوْقِ في كبدي والبَينُ يُبْعِدُ بينَ الرُّوحِ والْجَسَدِ
وَدَاعَ صَبَّيْنِ لم يُمكِنْ وَدَاعُهُما إلا بِأَلْحاظِ عَيْنٍ أَوْ بَنانِ يَدِ

[1] المصدر السابق، ص24.

[2] المصدر السابق، ص17.

[3] المصدر السابق، ص171.

[4] يُنظر: القيرواني، ابن رشيق: **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، 225/1.

[5] الوأواء: **ديوانه**، ص91.

ثَانِياً: الغَزَلُ الحِسّيُّ:

لَمْ يَكُنْ غَزَلُ الوأواءِ كُلُّهُ مَعنَوِيّاً عَفِيفَاً يَهتَمُّ بالبَثِّ وَالشَّكوى، وَإِنَّمَا مِنهُ مَا كَانَ حِسّيّاً مَادِّيّاً، يَدُورُ حَولَ جَسَدِ المَرأَةِ وَيَتَّخِذُهُ مِحوَرَاً لَهُ، وَإِذَا مَا أَمعَنَ البَاحِثُ النَّظَرَ فِي هَذَا النَّوعِ الأَخِيرِ فَإِنَّهُ يُمكِنُهُ أَنْ يَقْسِمَهُ إِلى قِسمَيْنِ اثنَين، هُمَا: غَزَلٌ حِسّيٌّ فاحِشٌ، وَحِسّيٌّ غَيرُ فَاحِشٍ، وَيَتَمَثَّلُ الفرقُ بَينَهُمَا فِي أَنَّ الغَزَلَ الحِسّيَّ الفَاحِشَ يَتَحَدَّثُ فِيهِ الشَّاعِرُ عَمَّا وَقَعَ بَينَهُ وَبَينَ المَحبُوبَةِ مِن صِلَةٍ حِسّيَّةٍ مَادِّيَّةٍ، وَيَصِفُ مُغَامَرَاتِهِ الجِنسِيَّة مَعَهَا بِكُلِّ جُرأَةٍ وَصَرَاحَة، وَيُستَشَفُّ مِنهُ نَهَمَهُ إِلى جَسَدِ المرأَةِ وَشَهوَتَهُ لَه، وَرَغبَتَهُ فِي مُطَارَحَتِهَا الغَرامَ عَلَى الفِرَاش، فَضْلا عَن أَنَّهُ لا يَخلُو مِن بَعْضِ الأَلفَاظِ الفَاضِحَةِ وَالتَّعَابِيرِ المَكشُوفَةِ التي تَخدِشُ الحَياءَ العَامّ. أَمَّا الغَزَلُ الحِسّيُّ غَيْرُ الفَاحِشِ، فَإِنَّهُ يَصِفُ جَسَدَ المَحبُوبَةِ وَصفَاً دَقِيقَاً، وَيَتَحَدَّثُ عَن مَفَاتِنِهَا الأُنثَوِيَّةِ، وَيُشَبِّهُهَا بِأَشيَاءَ مَادِّيَّةٍ حِسّيَّةٍ، لَكِن دُونَ الوُصولِ إِلى حَدِّ الابتِذَالِ وَالإِسفافِ المَقيتَين، وَالتَّهتُّكِ الفَاضِحِ، وَلَيسَ هَذا العبث بِغَرِيبٍ عَنِ الوأواءِ الدِّمَشقِيّ، فَقَد عَاشَ حَيَاةً لاهِيَةً مَاجِنَةً عَابِثَةً بَعيدَةً عَنِ وَالأَخلاقِ وَالعِفَّةِ، قَضَاهَا بَيْنَ الجَواري الحِسَان، وَالرِّياضِ وَالأَزهارِ وَالخُمُور، وَفِي الصَّفحاتِ الآتِيَةِ تَفصيلٌ لِكِلا النَّوعَين وَبَيانٌ لَهُمَا.

أ: الغَزَلُ الحِسّيُّ الفَاحِشُ:

يَشتَمِلُ غَزَلُ الوأواءِ عَلَى العَدِيدِ مِنَ المَقطُوعَاتِ وَالقَصَائِدِ الشِّعرِيَّةِ الفَاحِشَةِ التي وَصَفَ فِيهَا مُغَامَرَاتٍ حِسّيَّةً وَسَرَدَ قصَصَاً جِنسِيَّةً فَاضِحَةً حَصَلَت بَيْنَهُ وَبَيْنَ المَحبُوبَةِ، سَرْدَاً مُفَصَّلاً دَقِيقَاً يَكشِفُ عَن قَدرٍ كَبِيرٍ مِنَ التَّهَتُّكِ وَالابتِذَالِ الذي كَانَ يَعِيشُ فِيهِ وَيَقضِي أَيَّامَهُ وَلَيَالِيه، وَمِن ذَلِكَ، وَصْفُهُ لِمُغَامَرَةٍ حِسّيَّةٍ صَاغَهَا عَلَى هَيئَةِ قِصَّةٍ مَلِيئَةٍ بالإِشَارَاتِ الجِنسِيَّةِ المُثيرة، وَقَد صَوَّرَ فِيهَا لِقَاءَه بِإِحدى الفَتَيَاتِ الحِسَانِ الجَمِيلاتِ الَّلاتِي فَسَدَتْ أَخلاقُهُنَّ، وَذَلِكَ باعتِرَافِهِ فِي قَولِهِ: (مُرَّةَ الأَخلاق)، فَوَصَفَ مشيَتَهَا المُتدَلِّلة المُتَغَنِّجَةَ وَهِيَ مُقبِلَةٌ عَلَيهِ، وَرَكَّزَ عَلَى تَصوِيرِ عَجُزِهَا العَظِيمَةِ التي تَسَبَّبَتْ –لِثِقَلِهَا- فِي دَفعِ صَدْرِهَا إِلى الأَمَام، ثُمَّ وَصَفَ مَا جَرَى بَينَهُمَا مِن اتِّصَالٍ حِسّيٍّ مَادِّيٍّ كَالعَضِّ وَالقَرصِ وَمَصِّ الّلسَانِ، لَكِنَّهَا وَعَلَى الرَّغمِ مِن تَهَتُّكِهَا وَانحِلالِ أَخلاقِهَا حَاوَلَتْ مَنْعَهُ مِنَ التَّمكُّنِ مِنهَا، إِذْ مَنَعَتْهُ مِنْ خَلْعِ السِّروالِ الذي تَرْتَدِيهِ، غَيْرَ أَنَّهُ هَدَّدَهَا بِأَنَّهَا إِذا مَا تَمَسَّكَتْ بِمَوقِفِهَا الرَّافِضِ فَإِنَّهُ سَيَجعَلُهَا تَخْلَعهُ غَصْبَاً عَنْهَا، وَهَذَا مَا حَدَثَ بالفِعل، مِمَّا جَعَلَهُ يَتَمَكَّنُ مِنْهَا، يقُول:[1]

[الخفيف]

أَنـا أَفْـدي مَـكْـتُـومَـةً لَا تُسَـمَّـى هـامَ قَـلْـبي بِهـا هُـيـامـاً وَهَـمَّـا

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص208-209.

حُلْوَةُ الْخَلْقِ مُرَّةُ الخُلْقِ قَدْ أَصْـ ـــبَحْتُ مِنْها في الحُبِّ أَعْمى أَصَمَّا
أَقْبَلَتْ في تَمامِها فَنَسِينا حُسْنَ بَدْرِ التَّمامِ ساعَةَ تَمَّا
تَتَمَشَّى وَئِقْلُ رَانِفَتَيْها[1] قَدَّمَتْ صَدْرَها مِنَ الْمَشْيِ قُدْما
ثُمَّ طَالَ الْعِتابُ، وَالْعَضُّ وَالْقَرْ صُ، وَمَصُّ الِّلسانِ مِنْها فَلَمَّا
مَنَعَتْنِي مِنْ تِكَّةٍ ثُمَّ قَالَتْ: تِهْ عَلَى الْفَدْمِ مَا ظَنَنْتُكَ فَدْمَا[2]
قُلْتُ: جُودي بِحَلِّها لِي وَإِلا قَطْعُها هَيِّنٌ كَمَا أَشْرَبُ المَا
فَهيَ وَقْفٌ مَا بَيْنَ حَلٍّ وَقَطْعٍ وَإِلَيْكِ الْخِيارُ إِمَّا وَإِمَّا
قَالَتِ: احْلُمْ فَقُلْتُ: لِلْحِلْمِ وَقْتٌ أَنا لا أَسْتَطيعُ في الْحُبِّ حِلْما
قُلْتُ: لا بُدَّ أَنْ يُدَمَّى غَزَالٌ ثُمَّ يُكْفى مِنَ الْغَزالِ المُدَمَّى
فَتَلَقَّيْتُها بِرُوحي وَقَلْبِي لا بِجِسْمِي مِنْ أَيْنَ أَمْلِكُ جِسْما؟!

وَيَبرُزُ فِي القَصِيدَةِ أَعلاه اعتِمَادُ الشَّاعِرِ فِي صِيَاغَتِهَا عَلَى الأُسلُوبِ القَصَصِيّ، إِذ تَشتَمِلُ عَلَى شَخصِيَّتَين، هُمَا الشَّاعِرُ وَمَعشُوقَتُهُ، وَيَبرُزُ فِيهَا عُنصُرُ الحِوَارِ الذي يَضطَّلِعُ بِدَورٍ مُهِمٍّ فِي بِنَاءِ القِصَّةِ وَتَطَوُّرِ أَحدَاثِها، مُنذُ أَن عَرَضَ الشَّاعِرُ عَلَى مَعشُوقَتِهِ أَن تُسَلِّمَهُ نَفسَهَا، إِلى أَن تَمَكَّنَ مِنهَا غَصبًا عَنهَا.

وَيَكشِفُ فِي إِحدَى غَزَلِيَّاتِهِ المَاجِنَةِ عَن مُغَامَرَةٍ حِسِّيَّةٍ خَاضَهَا مَعَ مَنْ يَعشَق، فَيُصَرِّحُ بِأَنَّهُ عَانَقَهُ، وَتَمَكَّنَ مِنهُ وَقَضَى حَاجَتَهُ، وَحَصَلَ عَلَى كُلِّ مَا يُرِيدُ وَيَشتَهِي، لَكِن مِن غَيْرِ الدُّخُولِ فِي تَفَاصِيلِ هَذَا الِّلقَاءِ وَحَيثِيَّاتِهِ، يقول:[3] **[المنسرح]**

عَانَقْتُ مَوْلايَ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ وَنِلْتُ سُؤْلِي بِحُسْنِ ما صَنَعَا
مِنْ قَمَرٍ صارَ في تَنَصُّفِهِ كَأَنَّهُ نِصْفُ دِرْهَمٍ قُطِعا

وَيُقِرُّ فِي مَوضِعٍ آخَرَ بِالأَفعَالِ المُتَهَتِّكَةِ التي قَامَ بِهَا مَعَ المَحبُوبَة، حَيثُ يُشِيرُ إِلى أَنَّهُ قَبَّلَ فَمَهَا، فَشَرِبَ مِنْهُ رِيقاً كَالخَمرِ فِعلاً وَمَذاقاً، وَقَبَّلَ مِنْهَا خَدّاً كَالزَّهْرِ لَوْناً وَنُعُومَةً وَرِقَّةَ مَلمَس، ثُمَّ يَتَحَدَّثُ

[1] الرَّانفتين: مُثنَى رانِفة، وهي أسفل الأَلية، وقيل: هي منتهى أطراف الأَليتين مما يلي الفخذين، وقيل: هي ناحية الأَلية. ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (رنف).

[2] التِّكَّة: رباط السروال، وجمعها تِكَك. ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (تكك). الفَدْم من الناس: العَيِيُّ عن الحجة والكلام مع ثقل ورخاوة وقلة فهم، وهو أيضاً الغليظ السمين الأحمق الجافي. السابق، مادة (فدم).

[3] الوأواء: **ديوانه**، ص139.

عَن مُشاهَدَتِهِ وَمُعايَنَتِهِ لِبَعضِ مَوَاضِعِ الفِتنَةِ وَالإغرَاءِ مِن جَسَدِهَا الأَبيَضِ النَّاصِعِ الَّذي يُنيرُ الَّليلَ وَيَنفِي ظَلامَه، يقول:[1] **[المتقارب]**

تَـرَشَّـفْـتُ مِـنْ شَـفَـتَـيْـهِ الْـعُـقَـارَا ... وَقَـبَّـلْـتُ مِـنْ خَـدِّهِ الـجُـلَّـنَـارَا
وَشَـاهَـدْتُ مِـنْـهُ كَـثِـيـبـاً مَـهِـيـلاً ... وَغُصْـنـاً رَطِـيـبـاً وَبَـدْراً أَنـارَا
وَأَبْصَـرْتُ مِـنْ وَجْـهِـهِ فِي الـظَّـلامِ ... بِـكُـلِّ مَـكـانٍ بِـلَـيْـلٍ نَـهَـارَا

وَتَحَدَّثَ الوأواءُ عَنْ زِيارَةِ المَحبُوبَةِ لَهُ بَعْدَ فَتْرَةٍ مِنَ الغِيابِ وَالجَفَاءِ، وَاعْتَرَفَ بِأَنَّهُ عَانَقَهَا وَارتَكَبَ مَعَهَا الكَثِيرَ مِنَ الآثامِ وَالأَوزار، وَذَلِكَ فِي قَولِهِ:[2] **[السريع]**

زارَ الْمُـنى والسُّـؤْلُ إِذْ زارَنـي ... وكـانَ قِـدْمـاً غـيـرَ زَوّارِ
يـا زَوْرَةً سـاعـدَ فـيـهـا الـهَـوى ... بِـحَـمْـلِ آثـامٍ وأَوْزارِ
عَـانَـقْـتُ مَـنْ أَهْـوى ويـا طـالمـا ... بِـتُّ مِـنَ الشَّـوقِ عَـلَـى نـارِ
وفَـوْقَـنـا الْـبَـدْرُ عَـلَـى نِصْـفِـهِ ... كـأَنَّـهُ شِـقَّـةُ دِيـنـارِ

وَأَغلَبُ الظَّنِّ أَنَّ هَذِهِ المُغَامَرَةَ قَدْ تَمَّتْ فِي الطَّبِيعَةِ فِي إِحدَى الرِّياضِ، وَفِي مُنتَصَفِ الشَّهر، وَيُلاحَظُ ذَلِكَ مِن خِلالِ تَشبِيهِهِ لِلبَدرِ -خِلالَ عِنَاقِهِ لِلمَحبُوبَةِ- وَهُوَ فَوقَهُمَا فِي السَّمَاءِ بِنِصْفِ دِينَارٍ يَلمَعُ وَيَتَلأْلأ.

وَفِي إِحدَى غَزَلِيَّاتِهِ الفَاحِشَةِ يَتَحدَّثُ عَن لَيْلَةٍ صَاخِبَةٍ قَضَاهَا فِي جَوِّ الطَّبيعَةِ مَعَ المَحبُوبَة، وَهُوَ يَلثُمُهَا وَيُقَبِّلُهَا، وَذَلِكَ فِي قولِهِ:[3] **[الخفيف]**

رُبَّ لَيْـلٍ مـا زِلْـتُ أَلْـثِمُ فيـهِ ... قَمَـراً لابِسـاً غِلالَـةَ وَرْدِ
وَالـثُّـرَيَّـا كَـأَنَّـهـا كَـفُّ خَـوْدٍ ... داخَـلَـتْـهـا لِـلْـبَـيْـنِ رِعْـدَةُ وَجْـدِ
لَـمْ تُـطِـقْ دَفْـعَـهـا عَـنِ الـوَجْـدِ حَـتَّى ... قَـطَّـعَـتْـهـا لِـلْـبَـيْـنِ مِـنْ أَصْـلِ زَنْـدِ

وَفِي مَقطُوعَـةٍ أُخرى تَفُوحُ مِنهَـا رَائِحَـةُ التَّهَتُّكِ وَالابتِـذَالِ، يَكشِـفُ الوأواءُ عَن تِلكَ العلاقَـةِ الحَمِيمِيَّةِ بَيْنَ العُشَّـاق، حَيْثُ يَصِـفُ مَوقِفَ لِقَائِهِ وَوِصَـالِهِ لِلمَحبُوبَةِ، وَعِنَاقِهِ لَهَا بَعدَ أَنْ دَفَعَهَا إِلَيهِ الشَّوقُ وَالحَنِينُ مَادِدَةً يَدَهَا النَّاعِمَةَ لَه، وَقَدْ ضَمَّنَ الشَّاعِرُ هَذِهِ المقطُوعَةَ وَصفَاً حِسِّيَّاً مُثيرَاً

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص269.
[2] المصدر السابق، ص116-117.
[3] المصدر السابق، ص80.

لِلمَحبُوبَةِ، فَشَـعْرُهَا الأَسـوَدُ الطَّويلُ مُنسَـدِلٌ عَلَى خَدَّيها وَمُؤَلَّفٌ عَلَى هَيئَةِ حَرفِ الواوِ فِي انثِنَائِهِ وَاعتِكَافِهِ، وَخَصرُهَا دَقيقٌ رَقِيقٌ رَشِيق، يقول:[1] **[مجزوء الخفيف]**

كَـتَـبَـتْ فـي نَـهـارِ خَـدٍّ أَنِـيـقِ ... وَاوَ لَـيْـلٍ مَـلِـيـحَـةَ الـتَّـفْـريـقِ
وَتَـبَـدَّتْ بِـمُـقْـلَـةٍ تَـرْشُـقُ الـقَـلْـ ... ـبَ بِـأَلْـحـاظِـهـا وَقَـدٍّ رَشِـيـقِ
ثُـمَّ مَـدَّتْ إِلَـيَّ كَـفّـاً مِـنَ الـلُّـؤ ... ـلُـؤِ فـيـهـا أَنـامِـلٌ مِـنْ عَـقِـيـقِ
فَـاعْـتَـنَـقْـنـا عَـلَـى الـطَّـريـقِ كَـأَنَّـا ... مَـا عَـلَـيْـنـا لِـنـاظِـرٍ مِـنْ طَـرِيـقِ

وَوَصَفَ -كَذَلِكَ- كَيفَ قَامَتْ مَحبُوبَتُهُ خِلالَ إِحدَى التَّجارِبِ الجِنسِيَّةِ بِتَغطِيَتِهِ وَتَغطِيَتِ نَفسِهَا بِشَعرِهَا الأَسوَدِ الحَالِكِ الطَّوِيلِ؛ خَوفاً مِنَ الرُّقَبَاءِ وَالوُشَاة، ثُمَّ صَوَّرَ نَفسَهُ مَعَ المَحبُوبَةِ لِشِدَّةِ بَيَاضِ جَسَدَيهِمَا بالصُّبحِ المُنْبَلِجِ خِلالَ الظَّلامِ المُطبِقِ وَاللَّيلِ البَهِيمِ الحَالِكِ السَّواد، وَلِهَذا التَّشبِيهِ دِلالَتُهُ الجِنسِـيَّةُ الخالِصَـةُ، إِذْ يُشِـيرُ إِلى تَجَرُّدِهِمَا مِنَ المَلابِسِ، وَقَد عَبَّرَ عَن ذَلِكَ كُلِّهِ فِي قَولِهِ:[2]
[الكامل]

خِـفْـتُ الـرَّقِـيـبَ فَـجَـلَّـلَـتْـنِـي شَـعْـرَهـا ... وَتَـجَـلَّـلَـتْ مِـنْ خَـوْفِ وَاشٍ يَـرْمُـقُ
فَـكَـأَنَّـنـا صُـبْـحـانِ فـي لَـيْـلٍ حَـوى ... فَـجْـرَيْـنِ بَـيْـنَـهُـمـا ظَـلَامٌ مُـطْـبِـقُ
نَـخْـفـى إِذا خِـفْـنـا وَنَـبْـدُو تـارَةً ... فـيـهِ وَأَحْـيـانـاً يَـغِـيـبُ وَيُشْـرِقُ
وَعُـيُـونُـنـا قَـدْ خَـالَـفَـتْ رُقَـبـاءَنـا ... وَقُـلـوبُـنـا لِـلْـبَـيْـنِ مِـنْـهُـمْ تَـخْـفُـقُ

وَيَصِفُ الوأواءُ لَحظَةَ لِقَائِهِ بالمَحبُوبِ، وَعِنَاقِهِمَا وَتَطوِيقِهِمَا بَعضَهُمَا بَعضَاً خِلالَ فَترَةِ الصَّباحِ فِي قولِهِ:[3] **[المنسرح]**

عَـانَـقْـتُ بَـدْراً فِـيـهِ وَعَـانَـقَـنـي ... فَصَـارَ حَـظِّـي مِـنْ ذَيْـنِ حَـظَّـيْـنِ
وَالـبَـدْرُ قَـدْ وَشَّـحَـتْ يَـداهُ مِـنَ الْـ ... ـوَجْـدِ لأَعْـنـاقِـنـا وِشَـاحَـيْـنِ
كَـأَنَّـمـا كَـانَ عَـاشِـقـاً ظَـفِـرَتْ ... يَـدَاهُ مِـنْ هَـجْـرِنَـا بِـوَصْـلَـيْـنِ
كَـأَنَّـنَـا وَالـظَّـلامُ يَـجْـمَـعُـنـا ... صُـبْـحـانِ لاحَـا مِـنْ تَـحْـتِ لَـيْـلَـيْـنِ

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص169.
[2] المصدر السابق، ص166.
[3] المصدر السابق، ص225.

وَهَا هُوَ ذَا يُصَوِّرُ بِكُلِّ جُرَأَةٍ وَصَرَاحَةٍ زِيارَةَ المَحبُوبَةِ لَهُ صَبَاحَاً، حَيْثُ دَعَتهُ إِلى نَفْسِهَا، وَيُصَرِّحُ بِأَنَّهُ أَجَابَ دَعوَتَهَا دونَ تَرَدُّدٍ أَو تَمَهُّل، وَقَامَ بِوِصَالِهَا حِسِّيَّاً، يقول:[1] **[مجزوء الرمل]**

طالَعَتْني كطُلوعِ الْـ ـبَدْرِ في وَجْهِ الصَّباحِ
كَصَباحٍ تَحْتَ لَيْلٍ وَدَعَتْني لاصْطِباحِ
فَأَجَبْناها بِلا مَنْـ ـعٍ إِلى تَرْكِ الصَّلاحِ
وَوَصَلْناها وَمَنْ يَصْـ ـبِرُ عَنْ وَصْلِ الْمِلاحِ!

وَالوأواءُ لا يَأْبَهُ بِأَنْ يَدعُوَ المَحبُوبَةَ التي جَمَعَتْ كُلَّ صِفَاتِ الحُسْنِ وَالجَمَالِ إِلى أَنْ تُسَاعِدَهُ عَلَى نَفْيِ الشَّوقِ وَالسَّهَرِ وَالسَّقَمِ وَالضَّنى الذي يُعَانِيه، وَذَلِكَ بِأَنْ تَجُودَ عَلَيهِ بِقُبلَةٍ مِن فَمِهَا وَبِرَشْفَةٍ مِن رِيقِهَا:[2] **[الكامل]**

يا مَنْ حَوَتْ كُلَّ الْمَحاسِنِ في الوَرى وَالْحُسْنُ فيها عَاكِفٌ فِي بادِ
رِفْقاً بِمَنْ أَسَرَتْ عُيُونُكِ قَلْبَهُ وَدَعِي السُّيُوفَ تَقِرُّ في الأغْمادِ
وَتَعَطَّفِي جُوداً عَلَيَّ بِقُبْلَةٍ فَبِمِيمِ مَبْسَمِكِ شِفاءُ الصَّادِي
مَاتَتْ -أَطَالَ اللهُ عُمْرَكِ- سَلْوَتِي وَلَقَدْ فَنِي صَبْرِي وَعَاشَ سُهَادِي

وَتَجدُرُ الإِشَارَةُ إِلى أَنَّهُ كَثِيراً مَا كَانَ يَحِنُّ إِلى لَيَالِي الِّلقَاءِ وَالوِصَالِ وَالعِنَاقِ، وَيَتُوقُ إِلَيهَا، فَهَا هُوَ ذَا يَدعُو لَهَا بالسُّقيا وَالخَير:[3] **[الطويل]**

سَقَى اللهُ لَيْلا طَالَ إِذْ زَارَ طَيْفُهُ فَأَفْنَيْتُهُ حَتَّى الصَّباحِ عِناقَا
بِطيبِ نَسِيمٍ مِنْهُ يُسْتَجْلَبُ الكَرى وَلَوْ رَقَدَ الْمَخْمُورُ فيهِ أَفاقَا
تَمَلَّكَني لَمَّا تَمَلَّكَ مُهْجَتي وَفارَقَني لَمَّا أَمِنْتُ فِراقَا

وَلا يَخلُو هَذَا الضَّرْبُ مِنْ غَزَلِ الوأواءِ مِنَ العِتَابِ، حَيثُ يَبدُو أَنَّهُ قُوبِلَ بالصُّدُودِ وَالهِجرَانِ مِن المَحبُوبَةِ بَعدَ أَنْ حَصَلَ مِنْهَا عَلَى الوُدِّ وَالوِصَال، فَأَخَذَ يُذَكِّرُهَا بِمَا جَرَى بَينَهُمَا مِن غَرَامٍ وَهِيَامٍ

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص70-71.
[2] المصدر السابق، ص268.
[3] المصدر السابق، ص164-165.

وَاتِّصَالٍ جَسَدِيٍّ وَمُغَامَرَةٍ حِسِّيَّةٍ فِي لَيلَةٍ غَابَ عَنهُمَا فِيهَا الرُّقَبَاء؛ فَلَعَلَّهُ بِذَلِكَ يَستفِزُّهَا وَيَستَثِيرُ حَفِيظَتَهَا، وَيَدفَعُهَا لِلعَودَةِ إِلى وِصَالِهِ، يقول:[1] **[المُجتث]**

لَمَّا تحققتَ ودِّي	أَعْقَبْتَ وَصْلاً بِصَدِّ
يا أَصفَقَ الناسِ وَجْهاً	يا ناقِضاً كُلَّ عَهْدِ
لا تَنْسَ لَيْلَةَ كُنَّا	في الضَّمِّ رُوحاً لِفَرْدِ
وما عَلَيْنا رَقيبٌ	يُديلُ قُرْباً بِبُعْدِ
إلا نُجومٌ أَنارَتْ	كالدُّرِّ في لازَوَرْدِ

هَذِهِ هِيَ الحِسِّيَّةُ المَادِّيَّةُ الفَاحِشَةُ الفَاضِحَةُ التي تَغَنَّى بِهَا الوأواءُ فِي شِعرِهِ الغَزَلِيّ، فَهِيَ تَغصُّ بالإِشَارَاتِ الجِنسِيَّةِ المُتَهَتِّكَةِ المُبتَذَلَةِ وَالتَّعَابِيرِ الفَاضِحَةِ التي تَنحَدِرُ مَعَهَا الأَخلاقُ، وَتُهدَرُ العِفَّةُ، وَيُخدَشُ الحَياءُ العَامّ، مِن مِثل: العَضّ، وَالقَرص، وَمَصّ اللِّسان، وَخَلَعتُ عَذاري، وَتَهَتَّكَ سِتري، وَأَلثُم، وَالضَّمّ، وَالتَّقبِيل، وَعَانَقت، وَعَانَقَنِي، وَتَرشَّفتُ مِن شَفَتَيه ...

ب: الغَزَلُ الحِسّيُّ غَيرُ الفَاحِش:

يَضُمُّ ديوانُ الوأواءِ الكَثيرَ مِنَ الأَشعارِ الغَزَلِيَّةِ الحِسِّيَّةِ التي تَدُورُ حَولَ جَسَدِ المَرأَةِ، وَتَشرَحُهُ وَتَصِفُهُ وَصْفاً مَادِّيّاً، وَتُصَوِّرُ مَفَاتِنَهُ، وَتَتَغَنَّى بِمُغرياتِهِ لَكِن مِنْ غَيْرِ الوُصُولِ –فِي مُعْظَمِ الأَحيانِ- إِلى مَرحَلَةِ التَّهتُّكِ، وَالخَلاعَةِ، وَالإِسفافِ، وَالابتِذَالِ، وَخَلعِ العَذارِ الذي يَخدِشُ الحَياءَ وَلا يُناسِبُ الذَّوقَ العَامّ.

وَإِذَا مَا تَتَبَّعنَا تِلكَ الأَشعَارَ، نَجِدُ أَنَّ الشَّاعِرَ الوأواءَ قَدْ رَسَمَ فِيها صُورَةً جَسَدِيَّةً مِثَالِيَّةً مُتكامِلَةً لِلمَرأَةِ المَحبُوبَةِ، وَلِمَواضِعِ الإِغراءِ وَالفِتنَةِ فِيهَا، وَقَدْ جَمَعَ كَثيراً مِنهَا فِي قَولِهِ:[2] **[الخفيف]**

فَتَنَتْنا سَوالِفٌ وَخُدُودُ	وعيونٌ فَوَاتِرٌ وقُدُودُ
ووُجُوهٌ مِثلُ التَّواصُلِ بيضٌ	وشُعورٌ مِثلُ التَّقاطُعِ سُودُ
ملكتْنا بِضِعْفِهِنَّ ظِباءٌ	فَخَضَعنا لها ونحنُ أُسُودُ

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص93.

[2] المصدر السابق، ص90.

وَيُصَرّحُ الوأواءُ بِأَنَّ المَحبُوبَةَ أَكثَرُ حُسْناً وَجَمَالاً مِنَ الشَّمسِ ذَاتِهَا، فَهِيَ إِذا مَا رَأَتْهَا اختَفَتْ خَجَلاً وَحَيَاءً، يقول:[1] **[البسيط]**

إِنْسِيَّةٌ لَوْ بَدَتْ لِلشَّمْسِ ما طَلَعَتْ مِنْ بَعْدِ رُؤْيَتِها يَوْماً عَلَى أَحَدِ

وَيُكَرِّرُ المَعنَى السَّابِقَ فِي القَالبِ ذَاتِهِ مَعَ تَغييرِ بَعْضِ الأَلفاظِ فِي قَولِهِ:[2] **[البسيط]**

إِنْسِيَّةٌ لَوْ رَأَتْها الشَّمْسُ مَا طَلَعَتْ مِنْ بَعْدِ رُؤْيَتِها يَوْماً عَلَى أَحَدِ

وَيَذكُرُ أَنَّ مَحبُوبَتَهُ أَجمَلُ مِنَ البَدر، فَالبَدرُ ذَاتُهُ إِذَا مَا رَآهَا فَإِنَّهُ يُصَابُ بالكُسُوفِ وَالخَجَل، وَيَختَفِي احتِرَامَاً وَإِجلالا لَهَا، وَاعتِرَافَاً بِأَنَّهَا تَفُوقُهُ حُسناً وَمَلاحَةً وَإِشراقَاً، يقول:[3]

[مُخلّع البسيط]

لَمْ يَبْدُ لِلْبَدْرِ قَطُّ إلا أَخْجَلَهُ فَاكْتَسى كُسُوفا

وَإِذا قَالَ أَحَدُهُم –مُستَعمِلاً التَّشبِيهَ المَقلُوبَ لِلمُبالَغَةِ فِي جَمَالِ المَحبُوبَة- إِنَّ البَدرَ يُشبِهُهَا، فَإِنَّ البَدْرَ يَعتَرِضُ عَلَى هَذَا التَّشبِيهِ، وَيَعتَذِرُ لَهَا؛ لأَنَّهُ لَيسَ بِمُستَوَى حُسْنِهَا وَجَمالِهَا، وَلَيسَ أَهلاً لِلتَّشَبُّهِ بِهَا، وَقَد عَبَّرَ الوأواءُ عَنْ هَذِهِ الفِكرَةِ فِي قولِهِ:[4] **[البسيط]**

يا ذا الَّذي تُخْجِلُ الأَغْصانَ قَامَتُهُ وَمَنْ لَهُ البَدْرُ وَجْهٌ وَالدُّجى شَعَرُ
وَمَنْ إِذا قِيلَ: إِنَّ البَدْرَ يُشْبِهُهُ حُسْناً أَتى البَدْرُ مِمَّا قِيلَ يَعْتَذِرُ

وَيَصِفُ الوأواءُ جَمَالَ المَحبُوبَةِ بِأَنَّهُ مِثَالِيٌّ مُتَكامِلٌ لا مَثِيلَ لَهُ وَلا مُشابِه، إِلى الدَّرَجَةِ التي يَعجَزُ مَعَهَا الوَصَّافُونَ عَن وَصفِهِ، يقولُ فِي ذَلِكَ:[5] **[البسيط]**

جَلَّتْ مَحاسِنُهُ عَنْ كُلِّ تَشْبِيهِ وَجَلَّ عَنْ مُشْبِهٍ فِي الحُسْنِ يَحْكِيهِ
انْظُرْ إِلى وَجْهِهِ وَاسْتَغْنِ عَنْ صِفَتِي سُبْحَانَ خالِقِهِ سُبْحانَ بارِيهِ

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص266.
[2] المصدر السابق، ص85.
[3] المصدر السابق، ص146.
[4] المصدر السابق، ص118.
[5] المصدر السابق، ص251.

وَيَقُول:[1] **[المُجتث]**

أَفْـدِي الَّـذي شَـفَّ قَـلْـبِـي بِـغُـنْـجِـهِ وَالـتِّـيـهِ
حَـازَ الـكَـمـالَ فَـأَضْـحـى بَـدْرُ الـدُّجـى يَـحْـكِـيـهِ
يُـبـدِي غَـرائِـبَ حُسْـنٍ جَـلَّـتْ عَـنِ الـتَّشْـبِـيـهِ

وَجَعَلَ الوأواءُ وَجهَ المَحبُوبَةِ أَبيَضَ اللَّونِ، مُشـرِقاً يَشِـعُّ مِنهُ النُّورُ وَالضِّـياءُ الذي يُنيرُ الظَّلامَ، وَبِذَلِكَ فَهُوَ يُغنِي عَن شُعلَةِ النَّارِ التي يُستَضَاءُ بِهَا، وَيَتَّضِحُ ذَلِكَ في قَولِهِ:[2] **[البسيط]**

لَـوْ أَنَّـهـا في ظَـلامٍ لاسـتـنـارَ بِـهَـا لأنَّ إِشـراقَـهـا يُـغـنـي عَـنِ الشُّـرُجِ

وَعَيْنَا المَحبُوبَةِ -مَصـدَرُ السِّـحْرِ وَالجَمَال- وَاسِـعَتَانِ شَـدِيدَتَا البَيَاض وَالسَّـواد، وَالأَجفَانُ فَاتِرَةٌ مُنكَسِرَةٌ ضَعِيفَةٌ مِن شِدَّةِ الغَنجِ وَالدَّلال، وَكَأَنَّها مُصَابَةٌ بِمَرَضٍ عُضَال:[3] **[البسيط]**

انْظُرْ إِلى السِّـحرِ في عينيـهِ وَالـدَّعَجِ[4] كَـأَنَّ أَجـفـانَـهُ مَـرْضـى مـن الـغُـنُجِ

ويُكَرِّرُ شيئاً مِمَّا سَبَقَ فِي قَولِهِ:[5] **[الكامل]**

وَمَـريـضِ كَـرِّ الَّـلـحْـظِ تَـحسـبُ أَنَّـمـا أَجـفـانُـهُ نَشْـوى بِـلا خَـمْـرِ

وَفِي قَولِهِ:[6] **[البسيط]**

كَـأَنَّـهـا اسْـتَـرْهَـنَـتْ[7] في نـاظِرِي سَـقَـمَـاً بِلَحْظِ أَجْفـانِـهـا المَرْضـى مِنَ الغنُجِ

وَيَبدُو أَنَّهُ أُعجِبَ بِشَـعْرِهَا وَكَيفِيَّةِ تَصـفيفِهِ وَطَرِيقَةِ تَنسِـيقِهِ، فَوَصَـفَهُ وَصـفَاً بَارِعَاً، فَهُوَ نَاعِمٌ كَثِيفٌ مُنسَّقٌ عَلَى هَيئَةِ مَجمُوعَتَينِ مُتَخَالِفَتَينِ تُغَطِّيانِ مَنَاكِبَهَا، وَشَبَّه هَذَا التَّنسِيقَ بالصُّورَةِ التي تُكتَبُ عَلَيها كَلِمَةُ (لا)؛ لأَنَّها تَتَأَلَّفُ مِن خَطَّينِ مُتَخَالِفَين، وَقَدْ أَحْسَـنَ باسـتِخدامِ كَلِمَةِ (غدائر)

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص253.

[2] المصدر السابق، ص68.

[3] المصدر السابق، ص67.

[4] الدَّعَج: شِدَّة سواد العين، وشِدَّة بياض بياضها، وقيل شِدَّة سوادها مع سِعتها. ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (دعج).

[5] الوأواء: **ديوانه**، ص105.

[6] المصدر السابق، ص68.

[7] استرهن فلان من فلان: طلب منه رهنا. مصطفى، إبراهيم وآخرون: **المعجم الوسيط**، مادة (رَهَنَ).

لِلدّلالَةِ عَلَى كَثَافَةِ شَـعْرِهَا وَنُعُومَتِهِ وَلُيُونَتِهِ، فَهِيَ تَدُلُّ عَلَى جَمْعٍ، وَتَشْـتَمِلُ عَلَى حَرفِ الأَلِفِ الذي يَحمِلُ مَعنَى الُّليونَةِ وَالنُّعُومَةِ، وَقَدْ عَبَّرَ عَن كُلِّ هَذا فِي قَولِهِ:[1] **[الطويل]**

إذا أَسـبلـتْ زهـواً غـدائِـرَ شـعـرِهَـا تَـوَشَّـحْـنَهـا من طـولهـا بـالمنـاكـبِ
وخـالَـفْـنَهـا لمـا اسـتـجـرنَ لـنـا بهـا كمـا خـالَفَـتْ في ((لا)) أَنـامِـلُ كـاتـبِ

وَشَـعرُ صَـدغِهَا الأَسـوَدُ مُصَـفَّفٌ عَلَى هَيئَةِ حَرفِ الَّلامِ، وَمُنسَـدِلٌ عَلَى جَانِبَي وَجهِهَا، وَقَدْ شَبَّهَهُ بالخَرَزِ الأَسوَدِ، بِجَامِعِ الاشتِراكِ بِاللَّون، يقول:[2] **[البسيط]**

تَقَنَّعَـتْ بـالـدُّجى فَوْقَ الضـحى فَجَلَـتْ في عـاجِ عـارِضِـهـا لامـاً من السَّـبَجِ[3]

وَدَمَجَ الوأواءُ فِي بَعضِ أَشـعَارِهِ بَينَ وَصْـفِ هَيئَةِ تَصفِيفِ شَـعْرِ مَنْ يَعشَـق وَلَونِهِ، فَهُوَ مُصَـفَّفٌ وَمُقَوَّسٌ فَوقَ وَجنَتَيهِ النَّاصِعَتَينِ المُشرِقَتَينِ عَلَى هَيئَةِ حَرفِ الَّلام، وَلَونُهُ أَسْوَدُ حَالِك:[4] **[المنسرح]**

صَـــوْلَـجُ لامَـيْـنِ فـي عِـذَارَيْـنِ فـي ذَهَـبِـيَّـيْـنِ جَـوْهَـرِيَّـيْـنِ
يَـا بِـأَبِـي كَـيْـفَ شَـــقَّـنـي سَـــقَـمـاً سَـــوَادُ هَـذَيْـنِ في سَـــنَـا ذَيْـنِ

وَتَحَدَّثَ كَذَلِكَ- عَن صَدغَيْ المَعشُـوقِ الَّلذَينِ صَـفَّفَهُمَا فَوْقَ خَدَّيهِ عَلَى هَيْئَةِ حَلْقَةٍ دَائِرِيَّةٍ، الأَمر الذي جَعَلَهُ يَزدَادُ حُسْنَاً وَجَمَالاً وَسِحرا، يقول:[5] **[السريع]**

مَـرَّ بِـنَـا فـي قُـرْطَـقٍ أَخْضَـرِ مُـزَرفَـنَ الأَصْـداغِ بِـالـعَـنْـبَـرِ[6]
قَـدْ كَـتَـبَ الْـحُسْـنُ عَـلَـى خَـدِّهِ: يَـا أَعْـيُـنَ الـنَّـاسِ قِـفـي وانْـظُـري!

وَشَبَّهَ شَعْرَ الصَّدغِ المُنَسَّق عَلَى هَيئَةِ حَرفِ الَّلامِ فِي لَونِهِ بالخَرَزِ الأَسوَدِ، وَذَلِكَ فِي قولِهِ:[7] **[البسيط]**

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص25-26.

[2] المصدر السابق، ص67.

[3] السَّبج: الخرز الأسود، وهي كلمة دخيلة مُعَرَّبة. ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (سبج).

[4] الوأواء: **ديوانه**، ص220.

[5] الوأواء: **ديوانه** ، ص112.

[6] القُرطَق: القباء. ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (قرطق). زرفن صُدغَيه: جعلهما كالحلقة. السابق، مادة (زرفن).

[7] الوأواء: **ديوانه**، ص67.

لَـهُ مِـنَ الـدُّرِ عِـقْـدٌ تَـحْـتَ شَـــارِبِـهِ وَفَـوْقَ أَصْـــداغِـهِ لامـانِ مِن سَـبَجِ[1]

وَجَعَلَ -فِي مُبالَغَةٍ وَاضِحَةٍ- شَعْرَ المَحبُوبَةِ أَشَدَّ سَواداً مِنَ اللَّيلِ الحَالِكِ:[2] **[البسيط]**

وَزَائِـرٍ رَاعَ وَجْـهَ الـبَـيْـنِ مَـنْـظَـرُهُ أَحْلَى مِنَ الأَمْنِ عِنْدَ الخَـائِفِ الوَجِـلِ
أَلْـقَى عَـلَى الَّـلـيْـلِ لَـيْـلا مِـنْ ذَوَائِـبِـهِ فَهَـابَـهُ الصُّـبْحُ أَنْ يَبْـدُو مِنَ الْخَجَـلِ

وَلَقَد فُتِن الوأواءُ بالخُدُودِ الوَردِيَّةِ الحَمراء، فَشَبَّهَهَا بِزَهْرِ الرُّمَّان في قولِهِ:[3] **[البسيط]**

إن كـان في جُلَّـنـار[4] الخَـدِّ مِنْ عَـجَـبٍ فَـالصَّـــدْرُ يَـطْـرَحُ رُمَّـانـاً لِمَـنْ يَـرِدِ

وَشَبَّهَهَا كَذَلِكَ- بالوَردِ بِجَامِعِ الاشتِرَاكِ فِي النُّعُومَةِ وَالرِّقَّةِ وَالصَّفَاءِ وَاللَّون، وَمِن ذَلِكَ قولُهُ:[5] **[الوافر]**

تَـبَـارَكَ مَـنْ كَسَـــا خَـدَّيْـكَ وَرْداً تَـطَـلَّـعَ مِـنْ فُـرُوعِ الـيَـاسَـــمِـيـنِ

وَقَولُهُ:[6] **[مجزوء الرمل]**

لـي حَـبِـيـبٌ خَـــدُّهُ كَـالْـــ ـــــوَرْدِ حُسْـــنـاً فـي بَـيـاضِ

وَلِإظهَارِ شِدَّةِ نُعُومَتِهِمَا وَرِقَّتِهِمَا صَرَّحَ بِأَنَّ الوَردَ ذَاتَهُ مَأخُوذٌ مِنهُمَا:[7] **[البسيط]**

الـنَّرْجِسُ الْـغَضُّ مِنْ أَجْـفَـانِ مُـقْـلَـتِـهِ وَالـوَرْدُ مِـنْ خَـدِّهِ وَالـدُّرُّ مِـنْ فِـيـهِ

وَفِي قَولِهِ:[8] **[الكامل]**

لَـطَـمَـتْ بِـعُـنَّـابِ الْـبَـنـانِ شَـقَـائِقَ الْـ ـــوَجَـنَـاتِ لي في مَـأْتَـمِ الصَّـدِّ
فَـكَـأَنَّـهُ لَمَّـا تَـكـاثَـفَ لَـطْـمُـهـا في خَـدِّهـا مِسْـــكٌ عَـلَـى وَرْدِ

---

[1] السَّبَج: الخَرَزُ الأسوَد، وأصله سَبَهْ. ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (سبج).

[2] الوأواء: **ديوانه**، ص180-181.

[3] المصدر السابق، ص266.

[4] الجُلَّنار: زهر الرُّمّان. مصطفى، إبراهيم وآخرون: **المعجم الوسيط**، مادة (جُلَّنار).

[5] الوأواء: **ديوانه**، ص228.

[6] المصدر السابق، ص134.

[7] الوأواء: **ديوانه**، ص251.

[8] المصدر السابق، ص77.

صَـوَّرَ البَنَانَ بالعنَّابِ، وَالوَجنَتَينِ بِشَـقائِقِ النُّعمان، وَوَقَفَ عَلى الرَّائِحَةِ التي تَنبَعِثُ مِنَ الخَدِّ عِندَ اللَّطمِ، وجعلَها مِسكاً.

أُخرى شُمُوسَاً لا تَنطَفِئُ وَلا يَغِيبُ نُورُها وَضِياؤُها، يقول:[1] **[الطويل]**

يُـقِـمْـنَ لـنـا بـرقَ الـثُّـغـورِ أَدِلَّـةً ... إذا مـا ضـلـلـنـا في ظَلامِ الـذَّوائـبِ
شـمـوسٌ متى تبـدو تُضـيءُ لنـا الـدُّجى ... فَـمشـرِقُـهـا فـيـه بـغـيـرِ مَـغَـارِبِ

وَلَقَد دَهَشَتْ أَسنَانُهَا البَيضَاءُ النّاصِعَةُ اللَّامِعَةُ المُنتَظَمَةُ المُرتَّبةُ تَرتِيبَاً مُحْكَمَاً يَخطِفُ عَقْلَ مَنْ يَنظُرُ إِلَيهَا، الوأواء، وَدَفَعَتهُ إِلى تَشبِيهِهَا بالدُّرِّ وَالحِجَارَةِ الكريمَة، يقول:[2] **[المتقارب]**

لَـهُ ضَـاحِـكٌ بَـرْقُـهُ خَـاطِـفٌ ... عُـقُـولَ الـرِّجـالِ إذا مَـا ابْـتَّسَـمْ
أَقُـولُ لَـهُ إِذْ بَـدَا دُرُّهُ ... شَـهِـدْنَـا لِصَـانِـعِـهِ بِـالْـحِـكَـمْ
أَرى الـدُّرَّ يَـثْـقُـبُـهُ الـنَّـاظِـمُـونَ ... وَمَـا ثَـقَـبُـوا ذَا فَـكَـيْـفَ انْـتَـظَـمْ!

وَهَا هُوَ ذَا يُشَبِّهُهَا بِحُبَيبَاتِ البَرَدِ المُتجَمِّدَةِ المُتَسَاقِطَةِ مِنَ السَّماءِ، وَذَلِكَ فِي قولِهِ:[3] **[الكامل]**

مُـتَـبَسِّـمٌ عـن لُـؤلُـؤٍ رَطـبٍ حـكى ... بَـرَداً تسـاقَـطَ مـن عُـقُـودِ سَـمـاءِ

وَأُعجِبَ الوأواءُ بالنُّهُودِ وَالثُّدى المُستَدِيرَةِ، فَصَوَّرَهَا بِثَمَرَةِ الرُّمَّان فِي قولِهِ:[4] **[البسيط]**

إن كـان في جُـلَّـنـار الخَـدِّ مِـنْ عَـجَـبٍ ... فَـالصَّـدْرُ يَـطْـرَحُ رُمَّـانـاً لِـمَـنْ يَـرِدِ

وَصَوَّرَهَا -كَذَلِكَ- بالبَدْرِ وَقتَ تَمَامِهِ فِي قولِهِ:[5] **[الطويل]**

وَتُـظْـهِـرُ لي مـن تَـحْـتِ أَزْرارِ جَـيْـبِـهـا ... إذا مـا بَـدَتْ مـن كُـلِّ نـاحـيـةٍ بَـدْرَا

---

[1] المصدر السابق، ص26.
[2] المصدر السابق، ص212.
[3] المصدر السابق، ص4.
[4] الوأواء: **ديوانه**، ص266.
[5] المصدر السابق، ص104.

وَذَاتَ يَومٍ رَأَى الوأواءُ مَحبُوبَتَهُ فَجأَةً، فَغَطَّتْ وَجهَهَا بِسَاعِدِهَا خَجَلاً وَحَيَاءً، فَلاحَظَ جَمالَ ذَاكَ السَّاعِدِ وَحُسنَهُ وَضِياءَه، فَجَعَلَهُ عَمُوداً يُشِعُّ نُوراً وَضِيَاءً، وَجَعَلَ وَجهَهَا الأَبيضَ قَمَراً يَنبَعِثُ مِنهُ النُّور، وَذَلِكَ فِي قولِهِ:[1] **[المنسرح]**

قَدْ سَتَرَتْ وَجْهَهَا مِنَ الْخَفَرِ ... بِساعِدٍ حَلَّ عِقْدَ مُصْطَبَري
كَأَنَّهُ -والعُيونُ تَرْمُقُهُ- ... عَمُودُ نُورٍ في دَارَةِ القَمَرِ

وَيَبدُو أَنَّهُ لاحَظَ المَحبُوبَةَ وَقَد نَقشَتْ مِعصَمَهَا وَزَرْكَشَتْهُ وَخَضَّبَتهُ بالحِنَّاء، فَأُعجِبَ بِذَاكَ المَنظَرِ، وَشَبَّهَهُ بِمَنظَرِ النَّملِ وَهُوَ يَسِيرُ مُتَتَالِياً وَرَاءَ بَعْضِهِ بَعضَاً، وَبالبَرَدِ الذي يَتَسَاقَطُ مِنَ السُّحبِ وَيَتَجَمَّعُ فِي كُتَلٍ تُشَكِّلُ مَنَاظِرَ مُمَيَّزَةً، يقول:[2] **[البسيط]**

نَالَتْ عَلَى يَدِها مَا لَمْ تَنَلْهُ يَدِي ... نَقْشاً عَلَى مِعْصَمٍ أَوْهَتْ بِهِ جَلَدِي
كَأَنَّهُ طُرْقُ نَمْلٍ في أَنَامِلِها ... أَوْ رَوْضَةٌ رَصَّعَتْها السُّحْبُ بِالبَرَدِ

وَكَفُّ المَحبُوبَةِ –كَبَقِيَّةِ جَسَدِهَا- أَبيضُ ناعِمٌ مضيءٌ يشفُّ مثلَ الماء، يقول:[3] **[البسيط]**

لَها مِنَ الْماءِ كَفٌّ في أَنامِلِها ... إِذْ صافَحَتْني بِهِ نَارٌ عَلَى وَهَجِ
تَكادُ مِنْ لَمَعانِ الْحُسْنِ تَسْتُرُهُ ... كَأَنَّما طَرَّفَتْهُ مِنْ دَمِ المُهَجِ

وَفِي أَحَدِ مَجَالِسِ اللَّهوِ وَالمُجُونِ وَالغِناءِ تَأَمَّلَ أَصَابِعَ مُغَنِّيةٍ وَهِيَ تَضْرِبُ عَلَى العُودِ بِمَهَارَةٍ فَائِقَةٍ وَدِقَّةٍ مُتَناهِيَةٍ، فَفُتِنَ بِهَا، وَجَعَلَهَا قِطَعاً مِنَ الحِجَارَةِ الكَرِيمَةِ (الدُّرّ والياقوت) فِي قولِهِ:[4] **[الطويل]**

أَشَارَتْ بِأَطْرَافٍ لِطَافٍ كَأَنَّها ... أَنَامِلُ دُرٍّ قُمِّعَتْ بِعَقِيقِ
وَدَارَتْ عَلَى الأَوْتَارِ جَسَّاً كَأَنَّها ... بَنَانُ طَبِيبٍ في مَجَسِّ عُرُوقِ

وَلَمْ يَنْسَ الوأواءُ أَنْ يَقِفَ عِندَ اثنَينِ مِن أَكثَرِ مَواضِعِ الإِثارَةِ وَالفِتنَةِ فِي جَسَدِ المرأَة، وَهُمَا الخَصرُ وَالرِّدْفُ، فَوَصَفَهُمَا وَجَعَل الخَصْرَ نَاحِلاً لَيِّناً أَهيَف، وَجَعَلَ رِدْفَهَا عَظِيماً مُمتَلِئاً يَتَرَجرَجُ وَراءَها، يقول:[5] **[البسيط]**

---

[1] المصدر السابق، ص102.
[2] المصدر السابق، ص265.
[3] المصدر السابق، ص68.
[4] الوأواء: **ديوانه**، ص275.
[5] المصدر السابق، ص266.

وَخَصْـــرُهـا نـاحِـلٌ مِـثْـلِي عـلى كَـفَـلٍ مُـرَجْـرَجٍ قَـدْ حَكَى الأَحْزَانَ في الْخَلَـدِّ

وَهَا هُوَ ذَا يَتَغَنَّى بِضُمُورِ خَصرِ المَحبُوبَةِ وَهَيَفِهِ، وَذَلِكَ في قَولِهِ:[1] **[مجزوء الكامل]**

جَـــرَحَ الْـــفُـــؤادَ بِصَـــدِّهِ مَـــنْ لا يَـــرِقُّ لِـــعَـــبـــدِهِ
حُـــلْـــوُ الشَّـــمـــائِـــلِ أَهْـــيَـــفٌ فَضَـــحَ الـــقضـــيـــبَ بِـــقَـــدِّهِ

وَقولِهِ:[2] **[المنسرح]**

تَـاهَ بِـقَـدٍّ يُـزْهـى بِـهِ الـهَـيَـفُ كَـــأَنَّـــهُ فـي قَـــوامِـــهِ أَلِـــفُ

وَلِلمُبَالَغَةِ فِي إِظهَارِ نُحُولِ جَسَـدَ المَعشُـوقَةِ وَلِينِهِ وَرِقَّتِهِ، يُصَـرِّحُ الوأواءُ بِأَنَّهُ يَخَافُ عَلَيهَا إِذا مَشَت عَلَى رِجْلَيْهَا أَنْ تَتَقَصَّفَ وَتَتَكَسَّر، يقول:[3] **[الكامل]**

أَخْشَـى عَلَيْـكَ إِذا مَشَـيْـتَ تَقَصُّـفَـاً وَكَذا يُخافُ عَلَى القَضـيبِ إِذَا نَشَـا

وَإِذَا كَانَ خَصـرُ المَحبُوبَةِ نَاحِلاً ضَـامِراً، فَإِنَّ رِدفَها عَظِيمٌ مُمْتَلِئٌ ثَقِيلٌ إِلى دَرَجَةِ أَنَّهُ يَمنَعُهَا فِي بَعضِ الأَحيَانِ مِنَ النُّهُوضِ مِن مَجلِسِهَا، وَقَدْ عَبَّرَ الوأواءُ عَن هَذَا المَعنَى فِي قولِهِ:[4] **[الرجز]**

مَـرِيـضُ كَـرِّ الـطَّـرْفِ مِـنْ غَـيْـرِ مَـرَضْ كَـأَنَّـمـا قَـتْـلِـي عَـلَـيْـهِ مُـفْـتَـرَضْ
تُـقْـعِـدُهُ أَرْدافُـهُ إِذا نَـهَـضْ كَـأَنَّـهُ لَـيْـسَ لَـهُ مِـنْـهـا عِـوَضْ

وَالمَحبُوبُ مُنَعَّمٌ مُتْرَفٌ لَطِيفٌ حَسَّـاسٌ إِلى الدَّرَجَةِ التي لا يَسـتَطِيعُ مَعَهَا حَمْلَ الوِشَـاحِ الذي يَتَزَيَّنُ فِيهِ، وَذَلِكَ عَلَى الرَّغمِ مِن خِفَّة وزنِهِ، يقول:[5] **[الكامل]**

وَمُـهَـفْـهَـفٍ كـالـغُـصـنِ هَـزَّتْـه الصَّـبـا فَـصَـبـا إِلـيـهِ مِـنَ الـفُـتُـونِ هَـوائِـي
يُـوهِـيـهِ حَـمْـلُ وِشَـاحِـهِ فَـتَـراهُ مِـن تَـرَفِ الـنَّـعِـيـمِ يَـئِـنُّ في إِخْـفَـاءِ

وَفِي خَاتِمَةِ استِعراضِ هَذِهِ الجُزئِيَّةِ مِن غَزَلِ الوأواءِ، تَجدُرُ الإِشارَةُ إِلى أَنَّهُ جَمَعَ خَمْسَ استِعَارَاتٍ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ، الأَمر الذي يَدُلُّ عَلَى بَرَاعَتِهِ الفنِيَّة وَشَاعِرِيَّتِهِ الفَذَّة، مِمَّا دَفَعَ أَبا هِلال العَسكَرِيّ إِلى

[1] المصدر السابق، ص89.
[2] المصدر السابق، ص151.
[3] المصدر السابق، ص133.
[4] الوأواء: **ديوانه**، ص135.
[5] المصدر السابق، ص3.

التَّعبيرِ عَن إِعجَابِهِ فِيهِ بِقولِهِ: "لا أعرف لهذا البيت ثانياً في أشعارهم"[1]، وَفِيهِ شَبَّهَ الشَّاعِرُ دُمُوعَ المَحبُوبَةِ اللَّامِعَةِ التي تَنحَدِرُ مِن عَينَيهَا بِحُبَيبَاتِ اللُّؤلؤ، وَعُيونَهَا بِزَهْرِ النَّرجِس، وَجَعَلَ خُدودَهَا وَرداً بِجامِعِ النُّعُومَةِ وَالحُمرَةِ، وَشَبَّهَ أَنَامِلَهَا المُخَضَّبةَ بالعُنَّابِ الأَحمَر، وَأَسنَانَهَا بِحُبَيبَاتِ الماءِ المُتَجَمِّد، وَذَلِكَ فِي قولِهِ:[2] **[البسيط]**

قَالَتْ، وَقَدْ فَتَكَتْ فينا لَواحِظُهَا: كَمْ ذَا أَمَا لِقَتيلِ الْحُبِّ مِنْ قَوَدِ؟!
وَأَمْطَرَتْ لُؤْلُؤاً مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ وَرْداً وَعَضَّتْ عَلَى العُنَّابِ بِالْبَرَدِ

وَمِمَّا سَبَقَ يَبدُو جَلِيَّاً أَنَّ الوأواءَ تَغزَّلَ بالأُنثَى غَزَلاً حِسِّيَّاً غَيْرَ فَاحِشٍ، فَصَوَّرَ مَوَاضِعَ الجَمَالِ وَالفِتنَةِ وَالإغرَاءِ فِي جَسَدِهَا، كَالوَجهِ، وَالخُدُودِ، وَالأسنانِ، وَالشَّعرِ، وَالسَّاعِدِ، وَالنُّهُودِ، وَالخُصُورِ، وَالأردافِ مِن غَيرِ إِسفَافٍ أَو ابتِذَالٍ وَامتِهَانٍ، وَاستَعمَلَ لِتَحقِيقِ ذَلِكَ العديدَ مِنَ الصُّوَرِ التي اعتَمَدَ فِي صِيَاغَتِهَا عَلَى أَشيَاءَ مَادِّيَّةٍ تَشتَمِلُ عَلَى قَدرٍ مِنَ الرِّقَّةِ وَالنُّعومَةِ التي تَتَنَاسَبُ مَعَ نُعُومَةِ المرأَةِ وَحَسَاسِيَّتِهَا، كَالدُّرِّ، وَالياقُوتِ، وَالوردِ، وَزَهْرِ الرُّمَّانِ، وَشَقَائِقِ النُّعمانِ، وَالمَاءِ، وَالبَرَدِ، وَالشَّمسِ، وَالبَدر.

[1] العسكري، أبو هلال: **الصناعتين**، ص251.

[2] الوأواء: **ديوانه**، ص83-84.

الخاتمة

لَقَد كَانَ الوأواءُ الدِّمَشـقِيُّ شَـاعِرَاً حَسَّـاسـاً مُرهَفاً رَقِيقَاً غَزِلاً، فالغَزَلُ يَحتَلُّ حَيّزاً كَبِيراً مِن دِيوانِه، وَيَبدُو أَنَّهُ كَانَ مُتَقَلّبَ الهوى مُتَنَقّلاً في عِشـقِهِ مِن فَتَاةٍ إِلى أُخرى، يَدُلُّنَا عَلى ذَلِكَ أَنَّهُ لَم يَأتِ عَلى ذِكرِ فَتَاةٍ بِعَينِها كَبَعضِ الشُّعَرَاء، كَمَا أَنَّ كُتُبَ التَّرَاجِمِ لَم تَروِ أَخبَاراً عَن علاقَتِهِ بِمَحبُوبَةٍ مَخصُوصَـةٍ بِعَينِهَا، فَضلاً عَن حَياةِ اللهوِ وَالمُجُونِ وَالفُسُـوقِ التي عَاشَـهَا وَالتي أَتَاحَتْ لَهُ أَنْ يَلتَقِيَ بالعَديدِ مِنَ الفَتَيَاتِ الجَمِيلاتِ اللاهِيَاتِ الفَاسِقَاتِ وَيَتَغَزَّل بِهِنَّ، وَيُعَبّر عَن إِعجَابِهِ بِسِحرِهِنّ.

وَتَنحَصِرُ غَزَلِيَّاتُ الشَّاعِرِ الوأواءِ في اتّجَاهَينِ اثنَين، يُمكِنُ إِجمَالُهُمَا كَمَا يَأتِي:

أَوَّلاً: الغَزَلُ المَعنَوِيُّ العَفِيف، وَفِيهِ يُصَـوّرُ مَشَـاعِرَهُ المُلتَهِبَةَ، وَعَواطِفَهُ الحَرَّاقَةَ، وَيَصِـفُ مَا لِلحُبّ وَالهيامِ مِن تَأثيرٍ في نَفسِهِ وَجَسَدِه.

ثانياً: الغَزَلُ الحِسّيُّ، بِنَوعَيهِ: الحِسّيّ الفَاحِشِ الذي يَشتَمِلُ عَلى سَردٍ لقصَصٍ جِنسِيَّةٍ فَاضِحَةٍ، وَمُغامَراتٍ حِسّـيَّةٍ مُتَهَتّكَةٍ مَعَ المَحبُوبَة، وَالغَزَلِ الحِسّـيّ غَيرِ الفَاحِشِ الذي يَدُورُ حَولَ جَسَـدِ المَحبُوبةِ، وَيَصِـفُهُ وَصـفَاً مَادّيّاً، وَيُصَـوّرُ مَفاتِنَه، مِن غَيرِ الوُصُـولِ إِلى مَرحَلَةِ التَّهَتُّكِ وَالخَلاعَةِ، وَالإِسفافِ الذي يَخدِشُ الحَياءَ، وَلا يَتَلاءَمُ مَعَ الذَّوقِ العامّ وَلا يُناسِبُه.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

ابن جعفر، قدامة: **نقد الشعر**، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت).

ابن حزم، الأندلسي: **طوق الحمامة في الألفة والألّاف**، تح: إحسان عبَّاس، ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1993.

الحُصري، أبو إسحاق إبراهيم بن علي القيرواني: **زهر الآداب وثمر الألباب**، تفصيل وضبط وشرح زكي مبارك، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط4، بيروت: دار الجيل، 1972.

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي: **معجم البلدان**، تح: فريد عبد العزيز الجُندي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1990.

ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني الأزدي: **العمدة في محاسِنِ الشعر وآدابه ونقده**، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط4، بيروت: دار الجيل، 1972.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل: **كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)**، تح: مفيد قميحة، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1981.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: **الشعر والشعراء**، بيروت: دار الثقافة، 1964.

مصطفى، إبراهيم وآخرون: **المعجم الوسيط**، ط2، استانبول: المكتبة الإسلامية، 1972.

ابن منظور، محمد بن مكرم: **لسان العرب**، القاهرة: دار الحديث، 2003.

الوأواء، أبو الفرج محمد بن أحمد الغساني الدمشقي: **ديوانه**، تح: سامي الدّهان، ط2، بيروت: دار صادر، 1993.

ثانياً: المراجع:

بيومي، محمد: **قصص القرآن دروس وعبر للدعوة والدعاة**، ط1، المنصورة: مكتبة الإيمان، 2006.

الجواري، أحمد عبد الستار: **الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، بيروت: مطابع دار الكشاف، 1956.

الشكعة، مصطفى: **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين**، القاهرة: مطبعة المعرفة، 1958.

عبد الجابر، سعود محمود: **الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني**، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1981.

هدارة، محمد مصطفى: **اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري**، القاهرة: دار المعارف، 1963.